أسباب النزول

وأثرها في تفسير الشيخ فيصل آل مبارك

(توفيق الرحمن في دروس القرآن)

الباحث

د/ مشاري بن حميد الضويحي

أستاذ التفسير وعلوم القرآن المساعد

ووكيل التطوير والجودة بالكلية الجامعية بحقل

جامعة تبوك

أسباب النزول وأثرها في تفسير الشيخ فيصل آل مبارك "توفيق الرحمن في دروس القرآن"

مشاري بن حميد الضويحي
قسم التفسير وعلوم القرآن بالكلية الجامعية بحقل
جامعة تبوك – المملكة العربية السعودية
البريد الالكتروني : mmhaddad@kau.edu.sa

ملخص البحث

يُعنى هذا البحث ببيان أثر أسباب النزول في تفسير (توفيق الرحمن في دروس القرآن)، للعلامة المحقق الشيخ فيصل آل مبارك، وقد بدأته بالتعريف بأسباب النزول لغة واصطلاحا، ثم بالكتاب والمؤلف، ثم تحدثت عن أهمية أسباب النزول وفوائدها، وعناية الأمة- سلفا وخلفا - بها ، وما هو الطريق الأقوم إلى معرفتها ، ثم كان الحديث عن أثر أسباب النزول في بيان المعنى التفسيري عند ابن المبارك في تفسيره، وأخيرا الخاتمة ، وفيها أهم النتائج والتوصيات .

الكلمات المفتاحية: أسباب النزول , ابن المبارك , تفسير توفيق الرحمن في دروس القرآن.

The reasons for the revelation and its impact on the interpretation of Sheikh Faisal Al Mubarak Tawfiq Al-Rahman in the lessons of the Qur'an

Mishari bin Humaid Al-Duwaihi

Department of Islamic Studies, Haql University College, University of Tabuk, Kingdom of Saudi Arabia.

E-mail : mmhaddad@kau.edu.sa

Abstract

This research is concerned with explaining the impact of the reasons for revelation in the interpretation of (Tawfiq al-Rahman in the Lessons of the Qur'an), by the scholar Sheikh Faisal Al Mubarak. And what is the best way to know it, then I talked about the importance of the reasons for revelation in the interpretation of Ibn Al-Mubarak in his interpretation, and finally the conclusion, which contains the most important results and recommendations.

Keywords: Reasons for revelation, Ibn al-Mubarak, Tafsir Tawfiq al-Rahman in the lessons of the Qur'an.

المقدمة

الحمد لله منزل الكتاب، ومسبب الأسباب، وخالق الناس من التراب، وأصلي وأسلم على خير من جاء بالصواب ، وعلى الآل والأصحاب..

وبعد

فمن أعظم منن الله تعالى على هذه الأمة أن بعث فيهم رسولا منهم، وأنزل معه كتابه الخالد ، معجزة باقية إلى يوم الدين ، قال في محكم تنزيله: (لَقَدۡ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ إِذۡ بَعَثَ فِيهِمۡ رَسُولا مِّنۡ أَنفُسِهِمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمۡ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبۡلُ لَفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ) [آل عمران: ١٦٤]، وقال (ﷺ) : مَا مِنْ الْأَنْبِيَاءِ نَبِيٌّ إِلَّا أُعْطِيَ مَا مِثْلُهُ آمَنَ عَلَيْهِ الْبَشَرُ وَإِنَّمَا كَانَ الَّذِي أُوتِيتُ وَحْيًا أَوْحَاهُ اللَّهُ إِلَيَّ فَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَكْثَرَهُمْ تَابِعًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ(١)

وقد أخبر الله سبحانه أنه لم ينزَّل هذا الكتاب المبارك جملة واحدة ، بل أنزله منجما، فقال عز من قائل سبحانه: (وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡلَا نُزِّلَ عَلَيۡهِ ٱلۡقُرۡءَانُ جُمۡلَةٗ وَٰحِدَةٗ كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَ وَرَتَّلۡنَٰهُ تَرۡتِيلا) [الفرقان: ٣٢] ، وذلك لحكم عدة، منها مسايرته لكثير مما يطرأ من الأحداث والقضايا والوقائع في المجتمع المسلم ، وتقديم التوجيه القرآني لمعالجتها، وبيان حكم الله فيها(٢) .

وتعرف هذه الحوادث والقضايا بأسباب النزول، وقد جد الصحابة الأكارم في نقل هذه الأسباب ، واعتنى جمع من العلماء بجمعها ، وجعلوها مبحثًا من مباحث علوم القرآن

---

(١) البخاري، الجامع الصحيح المختصر (صحيح البخاري) ، باب قول الله تعالى: (وَأۡتُواْ ٱلۡبُيُوتَ مِنۡ أَبۡوَٰبِهَا) [البقرة: ١٨٩]، بَاب كَيْفَ نَزَلَ الْوَحْيُ وَأَوَّلُ مَا نَزَلَ ، ج١٥ /٣٧٨ ح ٤٥٩٨ .

(٢) الزرقاني ، محمد عبد العظيم (ت:١٣٦٧هـ)، مناهل العرفان في علوم القرآن، ط٣ ، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، ط٣ ، جـ١/٥٨

لا يقل أهمية عن مباحثه الأخرى، بل هناك من أفردها بمؤلفات مستقلة ، ذلك لما لهذه الأسباب من أثر بالغ في فهم معاني كتاب الله تعالى على الوجه الصحيح ، حتى إن أول ما يورده جل المفسرين عند بيانهم لمعنى الآية وتجلية المراد منها هو سبب نزولها– إن كان لها سبب نزول – ..

وابن المبارك واحد من هؤلاء المفسرين، الذين عُنوا بذكر أسباب النزول كسبيل لفهم الآية وبيان المراد منها ، فأحببت أن ألقي الضوء على أثر هذه الأسباب في بيان المعنى ، وتوضيح المراد ، وذلك من خلال تفسيره (توفيق الرحمن في دروس القرآن)، الذي حاز قبولًا بين أوساط طلاب العلم .. ولله الحمد والمنة.

****

أهمية الموضوع : تتجلى أهمية الموضوع من خلال ما يلي :

١- تعلقه بكتاب الله تعالى .

٢- أنه يبحث في علم مهم من علوم القرآن وهو أسباب النزول .

٣- أنه يبين أثر أسباب النزول في فهم كتاب الله تعالى، وبيان المراد منه.

٤- فيه رد على كثير من الحداثيين الذين يدعون إلى تأويل النص القرآني وفهمه بعيدا عن أية قيود أو ضوابط ، ومن بينها أسباب النزول .

٥- أنه يبين جهود الصحابة والتابعين وعلماء هذه الأمة في العناية بكل ما يتعلق بكتاب الله تعالى ، وفي مقدمة ذلك أسباب النزول ..

سبب اختياره: أما عن أسباب اختياري لهذا الموضوع فهي :

١- الرغبة في خدمة كتاب الله تعالى ..

٢- أهمية تفسير ابن المبارك لسهولة عبارته وقوة نقله.

٣- هجمة كثير من العلمانيين والحداثيين على كتب التراث الإسلامي ، ومنها كتب أسباب النزول ..

٤- حرصي على أن يكون عائدًا علميًا لي أولًا، ثم لأهل التخصص وعامة المسلمين

ثانيًا.

٥- أحببت أن أُبيّن بعض الجهد الذي قام به الشيخ فيصل أحد العلماء الذين تولوا القضاء والتدريس وتعليم الناس بمدينة سكاكا، وحيث إنها حاضنتي الأم التي نشأت فيها.

مشكلة البحث: يجيب هذا البحث عن سؤال رئيس وهو: ما أثر أسباب النزول في تفسير ابن المبارك (توفيق الرحمن في دروس القرآن) ؟، وقد ذلك اقتضى أن أقدم بين يديه الإجابة عن الأسئلة الآتية:

- ما المراد بأسباب النزول؟ وماهي أهميتها؟
- من ابن المبارك؟ وما هو تفسيره؟
- ما هو أثر أسباب النزول في بيان معاني القرآن؟

أهداف البحث: يحقق هذا البحث الأهداف التالية:

- بيان معنى أسباب النزول ..
- التعريف بابن المبارك وتفسيره توفيق الرحمن.
- بيان أهمية أسباب النزول وأثرها في بيان معاني القرآن.
- التأكيد على أنه لا طريق لمعرفة أسباب النزول إلا النقل الصحيح عمن عاصروا التنزيل.
- توضيح أثر أسباب النزول في بيان المعنى التفسيري عند ابن المبارك في تفسيره.

الدراسات السابقة: لم أجد – فيما وقفت عليه – بحثا علميًا مستقلًا في ذكر أثر أسباب النزول عند ابن المبارك في تفسيره الموسوم بـ (توفيق الرحمن في دروس القرآن).

محددات البحث: يتلخص هذا البحث في بيان أثر ذكر أسباب النزول في بيان المعنى التفسيري عند ابن المبارك من خلال تفسيره (توفيق الرحمن في دروس القرآن)، منحصر فيه دون غيره من الكتب، ولا يختص بالحكم عليها لأن ذلك يحتاج إلى دراسة مستقلة وباحث متخصص في علوم الحديث.

منهج البحث: سلكتُ في هذا البحث المنهجَ الاستقرائيّ، والمنهج الوصفي، والتحليليَّ.

الجانب الفني في البحث فجاءعلى النحو التالي:

– كتابة الآيات وفق الرسم العثماني، وأعقبت كل آية بذكر سورتها ورقمها مباشرة، دون الإحالة للحاشية، تخفيفاً لها، وبعداً عن ثقلها.

– تخريج الأحاديث من كتبها المعتمدة .

– توثيق النصوص المنقولة، وذلك بذكر بيانات الكتاب كاملة في أول ذكر له، ثم الاكتفاء باسم المؤلف وعنوان الكتاب ، عند ذكره بعد ذلك .

– ذيلت البحث بفهرس للمصادر والمراجع،مقسم إلى أقسام، وقد رتبت كتب كل قسم ترتيباً أبجدياً.

خطة البحث : جاءت خطة البحث في مقدمة ، وثلاثة مباحث ، وخاتمة ، وهي كالتالي :

– **المقدمة:** فيها مشكلة البحث، وأهميته، وسبب اختياره ، وأهدافه، ومحدداته، والدراسات السابقة، ومنهج البحث.

– المبحث الأول: التعريف بعنوان البحث.

– المطلب الأول: التعريف بأسباب النزول .

– المطلب الثاني: التعريف بالكتاب والمؤلف.

– المبحث الثاني: أهمية أسباب النزول ، والطريق إلى معرفتها .

– المطلب الأول: أهمية أسباب النزول واهتمام الأمة بها .

– المطلب الثاني: الطريق إلى معرفة أسباب النزول.

– المبحث الثالث: أثر أسباب النزول في بيان المعنى التفسيري عند ابن المبارك في تفسيره.

– المطلب الأول: أهمية أسباب النزول في بيان المعنى بشكل عام .

– المطلب الثاني: أهمية أسباب النزول في تفسير ابن المبارك(توفيق الرحمن في دروس القرآن)

– الخاتمة: وفيها أهم النتائج والتوصيات.

– فهرس المصادر والمراجع .

المبحث الأول

التعريف بعنوان البحث ، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: التعريف بأسباب النزول.

المطلب الثاني: التعريف بالكتاب والمؤلف.

قبل الدخول في تفاصيل الموضوع سألقي نظرة سريعة عن مفهوم أسباب النزول مذيلة بأهميتها وأثرها في بيان معاني التنزيل، وأخرى في التعريف بالشيخ ابن المبارك -رحمه الله- وكتابه: توفيق الرحمن، وذلك من خلال المطالب الآتية:

المطلب الأول التعريف بأسباب النزول

أسباب النزول مركب إضافي يتألف من كلمتين هما (أسباب) و(النزول) ، الأولى مضاف ، والثانية مضاف إليه ، وللوقوف على معنى ومفهوم هذا المصطلح فإنني أُبيِّن أولا معنى كل من هاتين الكلمتين في اللغة ، ثم أُبيِّن معنى المصطلح المؤلف منهما .

أولاً: الأسباب في اللغة :

الأسباب لغة:جمع سبب، والسبب: الحبل، وهو ما يتوصل به إلى الاستعلاء، ومنه قوله تعالى (فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى السَّمَآءِ) [الْحَج: ١٥] ، ثم استعير لكل شيء يتوصل به إلى غيره ، ماديا كان أو معنويا [(١)]، ومنه قوله تعالى (وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبابُ) أَيِ الوُصَل

---

(١) الحموي؛ أحمد بن محمد بن علي الفيومي، أبو العباس (ت: نحو ٧٧٠هـ)، المصباح المنير، المكتبة العلمية – بيروت مادة: (سبب) ج١ ص٢٦٢.– الرازي ، زين الدين أبوعبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي (ت: ٦٦٦هـ) ، مختار الصحاح ، ط٥ ، المكتبة العصرية – الدار النموذجية، بيروت ، صيدا، ، مادة (نزل) ١٤٢٠هـ – ١٩٩٩م، صيدا ، مادة س ب ب ، صـ ١٤٠ – الهروي، أبو منصور محمد بن أحمد بن الأزهري (ت: ٣٧٠هـ) ، تهذيب اللغة ، دار إحياء التراث العربي – بيروت ، ط١ ، ٢٠٠١م ، جـ١٢ / ٢٢٠ – السمين؛ شهاب الدين أحمد بن يوسف بن عبد الدائم (ت:٧٥٦هـ)، عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ، المحقق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٧هـ – ١٩٩٦م. مادة (سبب) ج٢ ص ١٦٣.=

والمودَّاتُ[١] ، وأَسْبَابَ السَّمَاوَاتِ : أَبْوَابهَا ، ومنه قول تعالي في شأن فرعون (وقال فرعون يا هَامَانُ ابْنِ لِي صَرْحاً لَّعَلِّي أَبْلُغُ الأَسْبَابَ أَسْبَابَ السَّمَاوَاتِ ..)[غَافِر: ٣٦، ٣٧] [٢]، والسبب: الحياة ، ومنه قولهم : قَطَعَ اللهُ به السَّبَبَ أي الحَياةَ[٣]، والسَّبَبُ: الطريق لأنّك تصِلُ به الى ما تُريد[٤]

إذن يأتي السبب في اللغة على عدة معانى،أقربها إلى المعنى الاصطلاحي ، هو: ما يتوصل به إلى غيره.

ثانيا : النزول في اللغة: للنزول في اللغة معنيان :

=(١) ابن منظور ، محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين الأنصاري ، (المتوفى: ٧١١هـ) لسان العرب ، دار صادر – بيروت ، ط٣، ١٤١٤هـ ، مادة (سبب) ، جـ١/٤٥٩ – مجمع اللغة العربية بالقاهرة، (إبراهيم مصطفى / أحمد الزيات / حامد عبدالقادر / محمد النجار)– المعجم الوسيط، دار الدعوة. طبعة دار الدعوة ، القاهرة ،مادة (سبب) جـ١/ ٤١١-٤١٢.

(٢) الأزهري ، محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور (المتوفى: ٣٧٠هـ) ، ط١، : دار إحياء التراث العربي – بيروت ، ٢٠٠١م ، جـ١٢/ ٢٢٠ -- ابن منظور ، لسان العرب ، مادة (سبب) ، جـ١، جـ١/ ٤٥٨ .

(٣) ابن سيده ، أبو الحسن علي بن إسماعيل المرسي [ت: ٤٥٨هـ] ، المحكم والمحيط الأعظم ، دار الكتب العلمية – بيروت ، ط١، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م ، جـ٨/ ٤٢٥ – ابن منظور ، لسان العرب ، مادة (سبب) ، جـ١/٤٥٩ .

(٤) الفراهيدي ، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم البصري (المتوفى: ١٧٠هـ) ، كتاب العين ، طبعة دار ومكتبة الهلال ، باب السين والباء ، جـ٧/ ٢٠٤ .

- أحدهما : هبوط الشيء ووقوعه[1] ومنه قوله عز وجل (وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَآءِ مَآءً طَهُوراً)]الْفُرْقَان: ٤٨]
- ثانيهما : الحلول، يقال: نزل الأمير المدينة أي حل بها ، ومنه قوله عز وجل قال تعالى:(وَقُل رَّبِّ أَنزِلْنِي مُنزَلًا مُّبَارَكًا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْمُنزِلِينَ)[المؤمنون:٢٩][2].
- ويرى البعض: أن كلا المعنيين اللغويين للنزول لا يليقان بنزول القرآن الكريم على وجه الحقيقة ، لما فيهما من معنى الحسية والمادية والمكانية والجسمية، وأنه ينبغي حمل النزول عند إسناده إلى القرآن على معنى مجازي يليق بالقرآن الذي هو كلام الله وليس بمادة ولا جسم[3]

ويرى آخرون أنه لا داعي للمجاز، وينبغي حمل النزول عند إسناده إلى القرآن الكريم على معناه الحقيقي، ما دام أن الله عبر بهذا اللفظ فليحمل على حقيقته ، قال ابن تيمية -رحمه الله-: لَيْسَ فِي الْقُرْآنِ وَلَا فِي السُّنَّةِ لَفْظُ نُزُولٍ إلَّا وَفِيهِ مَعْنَى النُّزُولِ الْمَعْرُوفِ وَهَذَا هُوَ اللَّائِقُ بِالْقُرْآنِ فَإِنَّهُ نَزَلَ بِلُغَةِ الْعَرَبِ وَلَا تَعْرِفُ الْعَرَبُ نُزُولًا إلَّا بِهَذَا

---

(١) ابن منظور؛ لسان العرب ، مادة (نزل) ، ج٦٥٦/١١ - القزويني؛ أحمد بن فارس بن زكريا الرازي، أبو الحسين (ت:٣٩٥هـ)، مقاييس اللغة، المحقق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م. مادة: (نزل) ج٥ ص٤١٧.

(٢) الرازي؛ مختار الصحاح، ص ٣٠٨ - الكفوي؛ أيوب بن موسى الحسيني القريمي (ت:١٠٩٤هـ)، الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، المحقق: عدنان درويش - محمد المصري، مؤسسة الرسالة - بيروت. مادة (نزل) ص٩٠٩.

(٣) د / محمد بحيري إبراهيم ، القرآن المبين وكيف نزل به الروح الأمين ، ط٣ ، دار الطباعة المحمدية ، القاهرة ، سنة ١٤١٤هـ ، ص ١٠٠- د/ محمد محمد أبو شهبة ، المدخل لدراسة القرآن الكريم ، ط٣ ، دار اللواء للنشر والتوزيع ، ١٩٨٧م ، صـ٤٧

الْمَعْنَى وَلَوْ أُرِيدَ غَيْرُ هَذَا الْمَعْنَى لَكَانَ خِطَابًا بِغَيْرِ لُغَتِهَا ثُمَّ هُوَ اسْتِعْمَالُ اللَّفْظِ الْمَعْرُوفِ لَهُ مَعْنًى فِي مَعْنًى آخَرَ بِلَا بَيَانٍ وَهَذَا لَا يَجُوزُ...[١] .

ثالثا: أسباب النزول في الاصطلاح:

بعد الوقوف على معنى كلمتي (أسباب) و (النزول)، نعرف هنا بمصطلح (أسباب النزول) المكون منهما ، فنعرض أولا لبعض ما وقفنا عليه من تعريفات، ثم نسوق التعريف الذي نراه ..

- عرف السيوطي سبب النزل بأنه : ما نزلت الآية أيام وقوعه [٢].
- وقال الزرقاني: سبب النزول هو ما نزلت الآية أو الآيات متحدثة عنه أو مبيّنة لحكمه أيام وقوعه[٣].
- وعرفه أبو شهبة بأنه: ما نزلت الآية أو الآيات متحدثة عنه ، أو مبينه لحكمه أيام وقوعه [٤]

---

(١) ابن تيمية ، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم الحراني (المتوفى: ٧٢٨هـ)، مجموع الفتاوى ، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية ، ١٤١٦هـ/١٩٩٥م ، ، جـ١٢/ ٢٥٧ .

(٢) السيوطي؛ عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين (ت: ٩١١هـ)، لباب النقول في أسباب النزول، ضبطه وصححه: الاستاذ أحمد عبد الشافي، دار الكتب العلمية بيروت – لبنان. ص ٤ –الاتقان في علوم القرآن ، طبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤ م ، جـ١/ ١١٦

(٣) الزرقاني؛ مناهل العرفان ، جـ١/ ١٠٦.

(٤) د/ محمد محمد أبو شهبة ، المدخل لدراسة القرآن الكريم ، صـ١٣٢ .

- وقال القطان: هو ما نزل قرآن بشأنه وقت وقوعه كحادثة أو سؤال[١].

ومن خلال استقراء هذه التعريفات يتبين لنا أنها متقاربة ، إلى حد بعيد، فكلها تحصر سبب النزول في أمرين:

أحدهما: حادثة وقعت فتنزل القرآن بشأنها .

وثانيهما: سؤال وجه لرسول الله ﷺ عن أمر فنزل القرآن الكريم مجيبا عنه. على أن يكون التنزل وقت حدوث ما نزل بشأنه أو بعده بقليل[٢].

ولعل أدق وأرجح التعريفات التي وقفت عليها،هو تعريف أسباب النزول بأنها: كل قول أو فعل أو سؤال ممن عاصروا التنزيل نزل بشأنه قرآن عند وقوعه[٣] ، فقد جاء هذا التعريف جامعا مانعا – كما ترى –

أما علم أسباب النزول : فهو العلم المعني بمعرفة الأقوال والأفعال والأسئلة الصادرة ممن عاصروا التنزيل ، ونزل بشأنها قرآن أيام وقوعها .

---

(١) القطان؛ مناع بن خليل (ت:١٤٢٠هـ)، مباحث في علوم القرآن، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، ط٣، ١٤٢١هـ- ٢٠٠٠م. ص ٧٨.

(٢) ينظر: القطان ، مباحث في علوم القرآن، صـ ٦٨ .

(٣) ينظر: المزيني؛ د. خالد بن سليمان، المحرر في أسباب النزول، دار ابن الجوزي، الدمام – المملكة العربية السعودية، ط١، (١٤٢٧هـ – ٢٠٠٦م). ج١ ص١٠٥. وينظر: الطيار؛ د. مساعد بن سليمان بن ناصر، المحرر في علوم القرآن، مركز الدراسات والمعلومات القرآنية بمعهد الإمام الشاطبي، ط٢، ١٤٢٩هـ – ٢٠٠٨م. ص ١٢٤.

المطلب الثاني التعريف بابن المبارك، وكتابه: (توفيق الرحمن في دروس القرآن)

ومن كتب التفسير الحديثة، ويُعد من آثار الحنابلة في التفسير، وبين يدي القارئ اعرف بالشيخ ثم بكتابه في المطالب التالية:

أولاً: التعريف بابن المبارك:

اسمه ونسبه:

فيصل بن عبد العزيز بن فيصل بن حمد المبارك الحريملي النجدي[(١)]. من آل أبو رَبَاع، ثم الحسني، من بِشْر، من قبيلة عَنَزة بالسعودية[(٢)].

مولده ونشأته:

ولد الشيخ رحمه الله في بلدة حريملاء، من بلدان نجد عام (١٣١٣هـ)، ثم انتقل إلى الرياض في عام (١٣٢٠هـ) مع أسرة آل مبارك، عندما استدعاهم الملك عبد العزيز رحمه الله بعد فتحه للرياض. وبعد وفاة والده ربَّاه عمه تربية حسنة، ونشأه نشأة طيبة، ولم يكن يعرف اللهو منذ صغره، فاهتم بحفظ القرآن الكريم، وطلب العلم الشرعي[(٣)].

---

(١) الزركلي؛ خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، (ت:١٣٩٦هـ)، الأعلام للزركلي، دار العلم للملايين، ط١٥ – أيار / مايو ٢٠٠٢ م. ج٥ ص١٦٨.

(٢) محمد خير رمضان يوسف، تتمة الأعلام للزركلي، ط٢، ١٤٢٢هـ، دار ابن حزم، بيروت. ج٢ ص٩٨.

(٣) ينظر: أبابطين، عبد المحسن بن عثمان، مقدمة "القواعد الجليلة"، مكتبة الرشد – الرياض–، ط١، ١٤١٤هـ – ١٩٩م.ص٣

مذهبه: قاضي حنبلي، من كبار العلماء[١].

أخلاقه: وله المكان اللامع في الأخلاق الفاضلة، مجالسه كلها أو جلّها بحوث علمية واجتماعية ولا يميل إلى الهزل أبدًا، ومتواضع جدًا يكلم الصغير والكبير والغني والفقير، ويتكلم مع الكل بما يناسبه ويحب مواساة الفقير من جيبه، وسمح ذا ميزة من الأدب والعفة والنزاهة منذ نشأ وترعرع ومحبوب يستميل القلوب إلى محبته وفي سفره يشاطر أصحابه الأعمال ولسان ناطق وفكر ثاقب[٢].

مكانته العلمية: أخذ من علماء الرياض وقطر واليمن، ومنهم عمه الشيخ محمد ابن فيصل، والقاضي الشيخ عبد الله بن حمد الحجازي، والشيخ عبد الله ابن عبداللطيف آل محمد بن عبد الوهاب وغيرهم.

وأجازَهُ الشيخُ سعدُ بنُ حَمَدٍ بنِ عَتِيقٍ محدث الديار النجدية: بتدريس أمهات كتب الحديث , وكذلك تدريس أمهات كتب مذهب الإمام أحمد[٣].

مناصبه:

تولى الإرشاد والقضاء في الشارقة، ورحل إلى الحجاز مرارًا وتولى الإرشاد هناك، ثم تعين مدرسًا بمدارس الفلاح. وفي سنة ١٣٥٧هـ تعين رئيسًا لهيئة الحسبة. ثم أسند إليه بعد ذلك أعمال كثيرة، كان آخرها أن عُيّن عضوًا بمجلس الشورى، وكان يلقي

(١) الزركلي؛ خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس (مرجع سابق)، ج٥ ص١٦٨.

(٢) أبابطين، عبد المحسن بن عثمان (مرجع سابق) ص٥.

(٣) أبابطين، عبد المحسن بن عثمان (مرجع سابق) ص٣-٤.

الدروس الدينية في مسجد «موافق» في حريملاء حينما يأتي إليها[١]، وتنقل في مناصب القضاء إلى أن كان قاضي «الجوف» [٢].

مؤلفاته:

وكذلك تتجلى مكانته العلمية في آثاره الجليلة والكثيرة التي سطَّرها، قال الشيخ عبد المحسن أبابطين رحمه الله: وقد ألف كتباً كثيرة صار لها رواجٌ في جميع أقطار المملكة العربية السعودية[٣]. فألف رسائل في الحديث والفقه والتفسير والنحو والفرائض، منها[٤]:

- الحجج القاطعة في المواريث الواقعة.
- مقام الرشاد بين التقليد والاجتهاد.
- توفيق الرحمن في دروس القرآن.
- خلاصة الكلام شرح عمدة الأحكام.
- واختصر بعض المطولات ككتاب «نيل الأوطار» للشوكاني سمى مختصره «بستان الأخبار – ط» وأضاف إليه زيادات.

---

(١) محمد خير رمضان يوسف (مرجع سابق) ج٢ ص٩٨.

(٢) الزركلي؛ خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس (مرجع سابق)، ج٥ ص١٦٨.

(٣) أبابطين، عبد المحسن بن عثمان (المرجع السابق) ص٤.

(٤) الزركلي؛ خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس (مرجع سابق)، ج٥ ص١٦٨.

• واختصر « فتح الباري » لابن حجر العسقلاني، سمى مختصره « لذة القارئ– خ »

وفاته:

توفي في سكاكا بالجوف، من عام (١٣٧٦هـ –١٩٥٧م)، عن٦٣عامًا قضاها في الدعوة إلى الله، والعلم تعلمًا وتعليما وتصنيفًا رحمه الله[١].

ثانيًا: التعريف بكتاب: توفيق الرحمن في دروس القرآن:

هو تفسير القرآن العظيم للشيخ الغلامة فيصل بن عبد العزيز آل المبارك، والكتاب مكون من ثلاثمائة وثلاثة عشر درسًا، كل درس يأخذ مقطعًا من القرآن على حسب ارتباط الآيات، في أربعة مجلدات، وطريقته كما ذكر في مقدمته أنه جمع ما فيه مستمده من كتب مختلفة، وأغلب ما نقله من تفسير الطبري وابن كثير والبغوي، فما نقله بلفظه عزاه، وما لم ينقله بلفظه لم يعزه[٢].

---

(١) الموسوعة الميسرة في تراجم أئمة التفسير والإقراء والنحو واللغة «من القرن الأول إلى المعاصرين مع دراسة لعقائدهم وشيء من طرائفهم»، جمع وإعداد: وليد بن أحمد الحسين الزبيري، إياد بن عبد اللطيف القيسي، مصطفى بن قحطان الحبيب، بشير ابن جواد القيسي، عماد بن محمد البغدادي، مجلة الحكمة، مانشستر – بريطانيا، ط١، ١٤٢٤هـ – ٢٠٠٣م. ج٢ ص١٨٢٩ رقم ٢٥٥٦. والزركلي؛ خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس (مرجع سابق)، ج٥ ص١٦٨.

(٢) ينظر: المبارك؛ فيصل بن عبد العزيز بن فيصل ابن حمد (ت:١٣٧٦هـ)، توفيق الرحمن في دروس القرآن، حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه: عبد العزيز بن عبد الله بن إبراهيم الزير آل محمد، دار العاصمة، المملكة العربية السعودية – الرياض، دار العليان للنشر والتوزيع، القصيم – بريدة، ط١، ١٤١٦ هـ – ١٩٩٦ م. ج١ ص٥١.

قال عنه الشيخ: عبد الكريم الخضير عضو هيئة كبار العلماء –حفظه الله– "أول ما يبدأ طالب العلم يقرأ في تفسير الشيخ فيصل بن المبارك فهو تفسير ماتع وكثير طلاب العلم في غفلة عنه وهو خلاصة تفسير السلف ومستمد من تفسير الطبري وابن كثير والبغوي".

جاء في الموسوعة الميسرة: "عند مراجعة تفسيره (توفيق الرحمن في دروس القرآن) وجدناه تفسيرًا يسير فيه صاحبه على نهج السلف الصالح في كل شيء وخاصة في آيات الصفات والآيات المتشابهات وغيرها. والله أعلم"(١).

****

(١) الموسوعة الميسرة في تراجم أئمة التفسير والإقراء والنحو واللغة (مرجع سابق). ج٢ ص١٨٢٩.

المبحث الثاني

أهمية أسباب النزول والطريق إلى معرفتها

يدور الحديث في هذا المبحث حول أهمية أسباب النزول وفوائدها ، وعناية الأمة – قديما وحديثا بها – ، والطريق الأمثل لمعرفتها والوقوف عليها .. وذلك من خلال المطالب الآتية:

المطلب الأول

أهمية أسباب النزول وعناية الأمة بها .

يزعم البعض أن أسباب النزول ما هي إلا تاريخ للنزول،أو جارية مجرى التاريخ، وأنه ليس ثمة فائدة لدراستها والعناية بها ، وهو زعم قديم جديد،وقد خَطَّأ العلماء قديما وحديثا أصحاب هذا الزعم [١]، وبينوا ما لأسباب النزول من أهمية كبيرة ،وعددوا لدراستها والوقوف عليها فوائد كثيرة..منها :

- أولا: الوقوف على الوجه السديد في معنى الآية ، وإدراك المراد منها، ودفع الإشكال عنها بتحليلها في ضوء الواقعة التي نزلت بشأنها ، والتعرف على أحكامها [٢]، وفي ذلك يقول ابن دقيق العيد : بيان سبب النزول طريق قوي في فهم معاني القرآن[٣]،قال الشيخ أبو الفتح القشيري بيان سبب النزول طريق قوي في فهم معاني الكتاب العزيز[٤]، وقال ابن تيمية : معرفة سبب النزول يعين على فهم الآية، فإن العلم بالسبب يورث

(١) السيوطي ، الاتقان في علوم القرآن ، جـ١/١٠٧ ـ الزركشي ، أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر (المتوفى: ٧٩٤هـ) ، ،البرهان في علوم القرآن ، ط١ ، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابى الحلبي وشركائه ، القاهرة ، ١٣٧٦ هـ ـ ١٩٥٧ م ، جـ١/ ٢٢ ـ
(٢) ذكره الزركشي؛ أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله (مرجع سابق). ج١ ص٢٢.
(٣) السيوطي ، الاتقان في علوم القرآن ، جـ١/١٠٨ ..
(٤) ذكره الزركشي؛ أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله (مرجع سابق). ج١ ص٢٢.

العلم بالمسبب[١] ، وقَالَ الْوَاحِدِيُّ: أسباب النزول ، هي أوفى ما يجب الوقوف عليه، وأولى ما تصرف العناية إليه؛ لامتناع تَفْسِيرُ الْآيَةَ دُونَ الْوُقُوفِ عَلَى قِصَّتِهَا وَبَيَانِ نُزُولِهَا[٢] وعليه فقد عد العلماء علم بأسباب النزول من العلوم التي لا غنى للمفسِّر عنها، فهو من العلوم التي تعينه على فهم المراد من كلام الله تعالى على وجه تطمئِنُّ النفس إليه[٣].

- ثانيا : معرفة وجه الحكمة الباعثة على تشريع الحكم [٤] ، وفي ذلك نفْعٌ للمؤمن وغير المؤمن ، أما المؤمن، فيزداد إيمانًا على إيمانه، ويحرص كل الحرص على تنفيذ أحكام الله، والعمل بكتابه؛ لما يتجلى له من المصالح والمزايا التي نيطت بهذه الأحكام، ومن أجْلِها جاء هذا التنزيل ، وأما الكافر، فتسوقه تلك الحكم الباهرة إلى الإيمان، إن كان منصفًا، حين يعلم أن هذا التشريع الإسلامي قام على رعاية مصالح الإنسان، لا على الاستبداد والتحكم والطغيان، خصوصًا إذا لاحظ سير ذلك التشريع، وتدرجه في موضوع واحد [٥]
- ثالثا: التأكيد على أن هذا القرآن نزل من عند الله تعالى ، فكثيرا ما كانت تحدث الحادثة ، أو يُسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الشيء فيتوقف حتى ينزل عليه الوحي

---

(١) ابن تيمية ، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام الحنبلي الدمشقي (المتوفى: ٧٢٨هـ) ، مقدمة في أصول التفسير ، طبعة دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان ، ١٤٩٠هـ/ ١٩٨٠م ، صـ١٦ ..

(٢) الواحدي، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي النيسابوري، الشافعي (المتوفى: ٤٦٨هـ) ، أسباب النزول ، ط٣ ، دار الإصلاح – الدمام ، ، ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م ، صـ ٨ .

(٣) محمد بكر إسماعيل (المتوفى: ١٤٢٦هـ) ، دراسات في علوم القرآن ، ط٢ ، دار المنار ، ١٤١٩هـ-١٩٩٩م ، صـ١٧٣ .

(٤) ينظر: الزركشي؛ البرهان في علوم القرآن، ج١ ص٢٢ – السيوطي ، الاتقان في علوم القرآن ، جـ١/ ١٠٧ - الزرقاني؛ محمد عبد العظيم (مرجع سابق) ج١ ص١٠٩، وينظر: القطان؛ مناع بن خليل ، مباحث في علوم القرآن ، ص٧٩.

(٥) الزرقاني ، مناهل العرفان ، جـ١/ ١٠٩ .

، فلو كان القرآن عنده – كما يزعم المفترون – لما توقف صلى الله عليه وسلم في الأمر [١].

- رابعا : بيان عناية الله برسوله الكريم بالدفاع عنه ، وذلك بين في كثير من الآيات التي تنزلت دفاعا عن رسول الله ﷺ في كثير من المواطن [٢].
- خامسا : بيان عنايته تعالى بعباده في تفريج كرباتهم ، وإزالة الغموم عنهم ، تظهر في الوقائع التي وقعت ونزلت فيها آيات بينت ذلك[٣].
- سادسا: معرفة السبب يفيد دفع توهم الحصر عما يفيد بظاهره الحصر، وذلك نحو قوله سبحانه فى سورة الأنعام: قُلْ لا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّماً عَلى طاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَماً مَسْفُوحاً أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ، أَوْ فِسْقاً أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ ...)[الأنعام:١٤٥]، فقد استدل الشافعي على دفع توهم حصر المحرمات فيما ذكر ، بسبب نزول الآية ، وهو أن الكفار لما حرموا ما أحل الله وأحلوا ما حرم الله عنادا منهم ومحادة لله ورسوله ، فنزلت الآية بهذا الحصر الصوري مشادة لهم، لا قصدا الى حقيقة الحصر، فكَأَنَّهُ تَعَالَى قَالَ: لَا حَرَامَ إِلَا مَا أَحْلَلْتُمُوهُ مِنَ الْمَيْتَةِ وَالدَّمِ ولحم الخنزير وما أهل لغير اللَّهِ بِهِ وَلَمْ يَقْصِدْ حِلَّ مَا وَرَاءَهُ إِذِ الْقَصْدُ إِثْبَاتُ التَّحْرِيمِ لَا إِثْبَاتُ الْحِلِّ [٤]، قال إمام

---

(١) ينظر: ابن عثيمين؛ محمد بن صالح بن محمد (ت:١٤٢١ه)، أصول في التفسير، أشرف على تحقيقه: قسم التحقيق بالمكتبة الإسلامية، المكتبة الإسلامية، ط١، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م. ص١١.

(٢) ينظر: ابن عثيمين؛ ، أصول في التفسير ، ص١٢.

(٣) ينظر: المرجع سابق ، ص١٢.

(٤) البلخى ، أبو الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي (المتوفى: ١٥٠هـ) ، تفسير مقاتل ، تحقيق : عبد الله محمود شحاته ، ط١، دار إحياء التراث – بيروت ، ١٤٢٣ هـ ، جـ٥/ ١٥٢ –الزركشي ، البرهان ، جـ١/ ٢٣ -السيوطي ، الاتقان ، جـ١/ ١١٠ .

الحرمين : وهذا في غاية الحسن ولولا سبق الشافعي إلى ذلك لما كنا نستجيز مخالفة مالك في حصر المحرمات فيما ذكرته الآية[١].

- سابعا : معرفة من نزلت فيه الآية وتعيينه حتى لا يتهم البريء، قال السيوطي: ومنها معرفة اسم النازل فيه الآية وتعيين المبهم فيها[٢].

- ثامنا : معرفة السبب يبين أخصيَّة الحكم بالسبب[٣]، فهو غير خارج عن حكم الآية إذا ورد مخصص لها لأن السبب قطعي، وإخراجه بدليل التخصيص اجتهاد ظني، ولا يجوز إخراج القطعي بالظني.
- تاسعا : تخصيص الحكم بالسبب عند من يرى العبرة بخصوص السبب لا بعموم اللفظ[٤].
- عاشرا : معرفة سبب النزول تكشف وجهًا من وجوه بلاغة القرآن الكريم بحسب مقتضى الحال وذلك بالمطابقة والمقارنة بين الحادثة والآية[٥]، وقد أفاض الشاطبي في هذا

---

(١)السيوطي ، الإتقان في علوم القرآن، ج١ ص١١٠، - الزرقاني؛ مناهل العرفان ، ج١ ص١١٢.
(٢) السيوطي: الإتقان في علوم القرآن ، ج١ ص١١٠.
(٣) الطوفي؛ سليمان بن عبد القوي بن الكريم (ت: ٧١٦ه)، شرح مختصر الروضة، المحقق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م. ج٢ ص٥٠٦. وبيان ذلك: (أن اللفظ الواقع لسبب قد يكون عامًا ويقوم دليل على تخصيصه فلا يجوز إخراج السبب من حكم اللفظ العام).
(٤) الزركشي؛ أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر (مرجع سابق) ج١ ص٢٢.
(٥) ينظر: الرومي؛ أ. د. فهد بن عبد الرحمن بن سليمان، دراسات في علوم القرآن الكريم، حقوق الطبع محفوظة للمؤلف، ط١٢، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م. ص١٤٦.

الباب بكلام طويل ونفيس متضمنًا هذا المعنى يحسن مراجعته[١].

- حادي عشر : الوقوف على أسباب النزول من سبل معرفة الناسخ والمنسوخ ، وبين ذلك الطوفي قائلًا: "وفي معرفة التاريخ فائدة معرفة الناسخ من المنسوخ" [٢] ، كما أنه سبيل لمعرفة بعض تاريخ المكي والمدني.
- ثاني عشر : في معرفتها تزكية وتربية بالسيرة العطرة ومعرفة للحال الذي كان عليها الناس في زمن التنزيل والتأسي بهم، كما ذكر الطوفي موضحًا هذا الأثر: التأسي بوقائع السلف وما جرى لهم، فيخف حكم المكاره على الناس، كمن زنت زوجته فلاعنها ; فهو يتأسى بما جرى لهلال بن أمية. وعويمر العجلاني في ذلك، ويقول: هؤلاء خير مني، وقد جرى لهم هذا فلي أسوة بهم"[٣].
- خامس عشر : معرفة السبب تيسر الحفظ وتسهل الفهم وتعين على تثبيت الوحي في الذهن، قال الزرقاني: "وذلك لأن ربط الأسباب بالمسببات والأحكام بالحوادث والحوادث بالأشخاص والأزمنة والأمكنة. كل أولئك من دواعي تقرر الأشياء وانتقاشها في الذهن وسهولة استذكارها عند استذكار مقارناتها في الفكر وذلك هو قانون تداعي المعاني المقرر في علم النفس" [٤].

---

(١) الشاطبي؛ أبو إسحاق إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي (ت: ٧٩٠ ه)، الموافقات، المحقق: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، تقديم: بكر بن عبد الله أبو زيد، دار ابن عفان، ط١، ١٤١٧ه - ١٩٩٧م، ج٤ ص١٤٦-١٥٣.
(٢) الطوفي؛ شرح مختصر الروضة ، ج٢ ص٥٠٦.
(٣) المرجع سابق ، ج٢ ص٥٠٧.
(٤) الزرقاني؛ محمد عبد العظيم (مرجع سابق) ج١ ص١١٣.

- سادس عشر : في معرفتها توسعة للشريعة وزيادة في الأجر والثواب في نشر ما يصلح للأمة. قال الطوفي: "توسعة علم الشريعة بمعرفة الأحكام بأسبابها، فيكثر ثواب المصنفين، كالذين صنفوا أسباب نزول القرآن، والمجتهدين بسعة محل اجتهادهم" [(١)].

****

لكل ما سبق ذكره،اعتنت الأمة – سلفا وخلفا – عناية فائقة بأسباب النزول ، أما الصحابة ، فقد حرصوا على معرفتها ، والوقوف عليها، لأنها أداة لفهم القرآن وإدراك معانيه،وليس أدل على ذلك من تصريح ابن مسعود وابن عباس أن علمهما بأسباب النزول هو من أسباب ما من الله عليهم به من فهم كتابه والوقوف على معانيه ، يقول ابن مسعود (والذي لا إله غيره؛ ما أنزلت سورة من كتاب الله إلا أنا أعلم أين أنزلت، ولا أنزلت آية من كتاب الله إلا وأنا أعلم فيما أنزلت، ولو أعلم أحدًا أعلم بكتاب الله مني تبلغه الإبل لركبت إليه)[(٢)] ، وقال ابن عباس : إنَّا أُنزِل علينا القرآن فقَرأناه، وعلمنا فيمَ نزل، وأنَّه سيكون بعدنا أقوام يقرؤون القرآن ولا يدرون فيمَ نزل، فيكون لهم فيه رأي، فإذا كان لهم فيه رأيٌ اختلفوا، فإذا اختلفوا اقتتلوا [(٣)] .

وأما التابعون فقد عُنوا بهذا العلم ، فهم الذين نقلوا ما ورد إلينا من أسباب وقصص النزول ، بعدما ما أخذوه عن الصحابة (رضي الله عنهم) ، ذلك أن الصحابة كانوا يحدثونهم بما شاهدوه وعاينوه من أسباب النزول ، يدلك على هذا ما رواه البخاري بسنده عن نافع مولى عبد الله بن عمر انه قال: (كان ابن عمر (رضي الله عنه) إذا قرأ

---

(١) الطوفي؛ شرح مختصر الروضة ، ج٢ ص٥٠٦.
(٢) البخاري؛ الجامع الصحيح المختصر (صحيح البخاري) ،كتاب فضائل القرآن، بَابُ القُرَّاءِ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، حديث (٥٠٠٢). ج ٦ ص ١٨٧.
(٣) البيهقي ، أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، (المتوفى: ٤٥٨هـ) ، شعب الإيمان ، ط١ ، كتبة الرشد للنشر والتوزيع بالرياض بالتعاون مع الدار السلفية ببومباي بالهند ، الطبعة: الأولى، ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٣ م ، فصل فِي تَرْكِ التَّفْسِيرِ بِالظَّنِّ ، جـ٣/٥٤٢ح ٢٠٨٦

القرآن لم يتكلم حتى يفرغ منه، فأخذت عليه يوماً، فقرأ سورة البقرة حتى انتهى إلى مكان، فقال: أتدري فيما نزلت؟ قلت: لا، قال: نزلت في كذا وكذا ثم مضى)[١] .

ثم تتابع اهتمام الأمة جيلا بعد جيل بأسباب النزول، فما من عصر إلا وصنفت فيه، المصنفات، ودونت فيه الكتب والمؤلفات..

****

المطلب الثاني
الطريق إلى معرفة أسباب النزول

عِلْمُ أسباب النزول من العلوم التي تعتمد على النقل ، فليس للعقل مجال فيها إلا التمحيص والترجيح ، ومن ثم فلا طريق لمعرفة أسباب النزول إلا النقل عمن شاهدوا التنزيل [٢]، وفي ذلك يقول الواحدي :لا يحل القول في أسباب نزول الكتاب إلا بالرواية والسماع ممن شاهدوا التنزيل، ووقفوا على الأسباب، وبحثوا عن علمها وجدوا في الطلاب [٣].

ويقول أبو شهبة : ينبغي التثبت في سبب النزول، وإلّا دخل القائل تحت قوله ﷺ: اتَّقُوا الحَدِيثَ عَنِّي إِلَّا مَا عَلِمْتُمْ، فَمَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ، وَمَنْ قَالَ فِي القُرْآنِ بِرَأْيِهِ فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ [٤]، وكان السلف الصالح يتحرجون

---

(١) البخاري، الجامع الصحيح المختصر (صحيح البخاري) ، كتاب التفسير باب (نساؤكم حرث لكم فاتوا حرثكم انى شئتم): ٤٢٥٣، ١٦٤٥/٤.
(٢) أبو شهبة ، المدخل لدراسة القرآن الكريم ، صـ١٣٤ .
(٣) الواحدي، ، أسباب النزول ، صـ ٨ . .
(٤) الترمذي ، أبو عيسى محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، (المتوفى: ٢٧٩هـ) ، سنن الترمذي ، ، ط٢ ، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي – مصر ، ١٣٩٥ هـ - ١٩٧٥ م ، بَابُ مَا جَاءَ فِي الَّذِي يُفَسِّرُ القُرْآنَ بِرَأْيِهِ ، جـ٥/١٩٩ح ٢٩٥١ - الإمام أحمد ، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني ، مسند الإمام أحمد بن حنبل، (المتوفى: ٢٤١هـ) ، ط١ ، مؤسسة الرسالة ، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م ، جـ٤/٢١٥ح ٢٦٧٦ .

من القول في سبب النزول بغير علم[١]، قال محمد بن سيرين: سألت عبيدة عن آية من القرآن، فقال اتَّقِ اللَّهَ وَقُلْ سَدَادًا ذَهَبَ الَّذِينَ يَعْلَمُونَ فِيمَا أُنْزِلَ الْقُرْآنُ[٢] .

وعليه فليس كل ما روي عن الصحابة والتابعين في أسباب النزول يقبل ، أما الروايات الواردة عن الصحابة (رضي الله عنهم) ، فلا يقبل منها إلا الصحيح المتصل الإسناد، لا الضعيف ولا المقطوع"[٣] .

فإذا صح قول الصحابي في بيان سبب النزول ، كان له حكم المرفوع إلى النبي ﷺ ، كما نبه على ذلك الحاكم وابن الصلاح وغيرهما من العلماء ، لأنه قول فيما لا مجال للرأي فيه، ويبعد كل البعد أن يقول ذلك من تلقاء نفسه، فهو محمول على السماع أو المشاهدة[٤]

أما قول التابعي في بيان سبب النزول، فإنه لا يقبل إلا إذا صح السند إليه، وكان قائله من أئمة التفسير، الآخذين عن الصحابة[٥] قال السيوطي : قول التابعي إذا كان صريحًا في سبب النزول فَهُوَ مَرْفُوعٌ أَيْضًا لَكِنَّهُ مُرْسَلٌ ، فَقَدْ يُقْبَلُ إِذَا صَحَّ

---

(١) الواحدي ، أسباب النزول ، صـ٩ ـ
(٢) السيوطي ، الاتقان ، جـ١/ ١١٥
(٣) السيوطي ، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين (المتوفى: ٩١١هـ) المقامة السندسية في النسبة المصطفوية ، ط١ ، مطبعة مجلس المعارف النظامية ، حيدر آباد ، صـ١٤ .
(٤) الحاكم ، أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نُعيم النيسابوري (المتوفى: ٤٠٥هـ) ، المستدرك على الصحيحين ، ط١، دار الكتب العلمية – بيروت ، ١٤١١ – ١٩٩٠ ، جـ٢/٢٨٣ – ابن الصلاح ، عثمان بن عبد الرحمن، أبوعمرو، تقي الدين المعروف بابن الصلاح (المتوفى: ٦٤٣هـ) ، معرفة أنواع علوم الحديث، (مقدمة ابن الصلاح) ، طبعة دار الفكر- سوريا، دار الفكر المعاصر – بيروت ، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م ، صـ٥٠ ـ السيوطي ، الاتقان ، جـ٤/ ٢٠٠ ـ الزرقاني ، مناهل العرفان ، جـ٢/١٣ – أبو شهبة ، المدخل لدراسة القرآن الكريم ، صـ١٣٥ .
(٥) أبو شهبة ، المدخل لدراسة القرآن الكريم ، صـ١٣٥ ـ صبحي الصالح ، مباحث في علوم القرآن ،ط٤ ، دار العلم للملايين ، ٢٠٠٠م ، صـ ١٣٤

السَّنَدُ إِلَيْهِ وَكَانَ مِنْ أَئِمَّةِ التَّفْسِيرِ الْآخِذِينَ عَنِ الصَّحَابَةِ كَمُجَاهِدٍ وَعِكْرِمَةَ وَسَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ أَوِ اعْتَضَدَ بِمُرْسَلٍ آخَرَ وَنَحْوِ ذَلِكَ. (١)

****

(١) السيوطي ، الاتقان ، جـ/١١٧ .

المبحث الثالث

أثر أسباب النزول في بيان المعنى التفسيري عند ابن المبارك في تفسيره

علمنا مما تقدم لأسباب النزول أهمية كبيرة، في مقدمها الوقوف على الوجه السديد في معنى الآية، وإدراك المراد منها، ومؤدى ذلك أن لأسباب النزول أثرها في بيان المعنى ، وكشف المراد من الآيات التي خصت بسبب نزول، وسنعرض هنا لأثر أسباب النزول في بيان المعنى بشكل عام – وذلك بإيجاز –، ثم نعرض لأثرها في بيان المعنى عند ابن المبارك من خلال تفسير (توفيق الرحمن في دروس القرآن بشكل خاص .. وذلك من خلال المطلبين الآتيين :

المطلب الأول
أثر أسباب النزول في بيان المعنى بشكل عام

ثمة أمثلة كثيرة للدلالة على أثر أسباب النزول في تفسير الآيات وبيان معناها، وإزالة ما قد يعرض من إشكال في فهم المراد منها .. نختار من هذه الأمثلة ما يلي :

– أولا :قال تعالى: (إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ فَلا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا)[سورة البقرة:١٥]،فقد أشكل على عروة بن الزبير معنى هذه الآية،إذ فهم منها عدم فرضية السعي بين الصفا والمروة ، وذلك لأن الآية تنفي الجناح عمن تطوف بهما ، ونفي الجناح يفهم منه عدم التكليف، فسأل عن هذا خالته أم المؤمنين عائشة -رضي الله عنها – فبينت له أن الأمر ليس كما فهم ، واستدلت على ذلك بسبب نزول الآية، وهو ما روي عن عروة بن الزبير(رضي الله عنهما) حيث قال :سألت عائشة رضي الله عنها : أرأيت قول الله تعالى: (إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ فَلا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا)[سورة البقرة : ١٥]، فوالله ما على أحد جناح ألا يطوف بالصفا والمروة .. قالت : بئسما قلت يا ابن أختي إن هذه لو كانت على ما أولتها كانت لا جناح عليه أن لا يطوف بهما، ولكنها أنزلت في الأنصار كانوا قبل أن يسلموا يهلون " لمناة " الطاغية التي كانوا يعبدونها عند " المشلل " وكان

من أهل لها يتحرج أن يطوف بالصفا والمروة ، فلما أسلموا سألوا النبي ﷺ عن ذلك فقالوا : يا رسول الله إنا كنا نتحرج أن نطوف بين الصفا والمروة فأنزل الله عز تعالى: (إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ فَلا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا)[سورة البقرة : ١٥] (١)

– ثانيا : قوله سبحانه :(لا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِما أَتَوْا وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِما لَمْ يَفْعَلُوا فَلا تَحْسَبَنَّهُمْ بِمَفازَةٍ مِنَ الْعَذابِ)[آل عمران: ١٨٨] ، فقد منها مروان بن الحكم العموم، فقال لبوابه: اذهب يا رافع إلى ابن عباس، فقل: لئن كان كل امرئ منا فرح بما أتى، وأحب أن يُحمد بما لم يفعل معذباً، لنعذبن أجمعون. فقال ابن عباس: ما لكم ولهذه الآية؟ إنما أُنزلت هذه الآية في أهل الكتاب. ثم تلا ابن عباس(وإذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه) [آل عمران:١٨٧]، قال ابن عباس :سألهم النبي ﷺ عن شيء فكتموه إياه، وأخبروه بغيره، فخرجوا قد أروه أن قد أخبروه بما سألهم عنه، واستحمدوا بذلك إليه، وفرحوا بما أتوا من كتمانهم إياه ما سألهم عنه(٢) .

–ثالثا:قوله تبارك وتعالى :(لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا إِذَا مَا اتَّقَوْا وَآمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ثُمَّ اتَّقَوْا وَآمَنُوا ثُمَّ اتَّقَوْا وَأَحْسَنُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ) [المائدة:٩٣]، فقد فهم بعضهم هذه الآية على غير وجهها الصحيح ، فكان سبب نزولها

(١) البخاري ، الجامع الصحيح المختصر (صحيح البخاري) ، بَابُ وُجُوبِ الصَّفَا وَالمَرْوَةِ، وَجُعِلَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ، جـ٢/١٥٧ح١٦٤٣ – النيسابوري ، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري (المتوفى: ٢٦١هـ) ، المسند الصحيح المختصر (صحيح مسلم) ، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت ، بَابُ بَيَانِ أَنَّ السَّعْيَ بَيْنَ الصَّفَا وَالْمَرْوَةِ رُكْنٌ لَا يَصِحُّ الْحَجُّ إِلَّا بِهِ ، جـ٢/٩٢٨ح١٢٧٧ .

(٢) البخاري ، الجامع الصحيح المختصر (صحيح البخاري) ، بَابُ (لَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوْا) ، جـ٦/٤٠ح ٤٥٦٨ ـ صحيح مسلم ، كِتَابُ صِفَاتِ الْمُنَافِقِينَ وَأَحْكَامِهِمْ ، جـ٤/٢١٤٣ح ٢٧٧٨ .

هو السبيل لرفع ما أشكل في فهم معناها ، فعن ابن عباس قال : أُتي برجل من المهاجرين الأولين قد شرب فأمر به أن يجلد، فقال :لم تجلدني؟ بيني وبينك كتاب الله، قال :وفي أي كتاب الله تجد أن لا أجلدك؟ قال :فإن الله تعالى يقول في كتابه(لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا) ، فأنا من الذين آمنوا وعملوا الصالحات ثم اتقوا وأحسنوا، شهدت مع رسول الله ﷺ بدرًا وأحدًا والخندق والمشاهد، فقال عمر :ألا تردون عليه؟ فقال ابن عباس :هؤلاء الآيات نزلت عذرًا للماضين وحجة على الباقين، عذرًا للماضين لأنهم لقوا الله قبل أن تحرم عليهم الخمر– أي : شربها القومُ على تقوى من الله وإحسانٍ، وهي لهم يومئذ حلال – وحجة على الباقين لأن الله يقول :(إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ)حتى بلغ الآية الآخرى، فإن كان من الذين آمنوا وعملوا الصالحات ثم اتقوا وآمنوا ثم اتقوا وأحسنوا، فإن الله نهى أن يشرب الخمر، شربها القومُ على تقوى من الله وإحسانٍ، وهي لهم يومئذ حلال، ثم حرّمت بعدهم(١)

– رابعا : قوله عز وجل: (وَاللائِي يَئِسْنَ مِنَ الْمَحِيضِ مِنْ نِسَائِكُمْ إِنِ ارْتَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلاثَةُ أَشْهُرٍ وَاللائِي لَمْ يَحِضْنَ وَأُولاتُ الأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ) [الطلاق:٤] فقد أشكل على بعض الناس المراد من الشرط في الآية، حتى فهموا منه أن الآيسة لا عدة

(١) انظر: ، النسائي ، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني (المتوفى: ٣٠٣هـ) ، المحقق: حسن عبد المنعم شلبي ، ط١، مؤسسة الرسالة – بيروت ، ١٤٢١ هـ ، ذِكْرُ اخْتِلَافِ أَلْفَاظِ النَّاقِلِينَ لِخَبَرِ قَتَادَةَ عَنْ أَنَسٍ ، جـ١٣٧/٦ح ٥٢٦٩ ـ الدارقطني ، أبو الحسن علي بن عمر بن أحمد بن مهدي بن مسعود بن النعمان بن دينار البغدادي (المتوفى: ٣٨٥هـ) ، ط١، مؤسسة الرسالة، بيروت – لبنان ، ١٤٢٤ هـ ـ ٢٠٠٤ م ، جـ٢١١/٤ح ٣٣٤٤
الحاكم ، المستدرك على الصحيحين ، جـ٤١٧/٤ ح ٨١٣٢ (وصححه ووووافقه الذهبي) القرطبي؛ أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري: الجامع لأحكام القرآن المعروف بتفسير القرطبي، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية – القاهرة، ط٢، ١٣٨٤هـ ـ ١٩٦٤ م. جـ٦/ ٢٩٧ .

عليها إلا إذا ارتابت في الحيض [1] ، ولكن بالرجوع إلى سبب النزول وهو أن نَاسًا قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ قَدْ عَرَفْنَا عِدَّةَ ذَوَاتِ الْأَقْرَاءِ فَمَا عِدَّةُ اللَّائِي لَمْ يَحِضْنَ مِنَ الصِّغَارِ وَالْكِبَارِ؟ فَنَزَلَتْ الآية[2] ، فَهَذَا يبين معنى {إن ارتبتم} أَيْ إِنْ أَشْكَلَ عَلَيْكُمْ حُكْمُهُنَّ وَجَهِلْتُمْ كَيْفَ يَعْتَدِدْنَ فَهَذَا حُكْمُهُنَّ، وليس المراد إن في حيضهن كما فهم البعض من ظاهر من الآية [3].

****

المطلب الثاني

أهمية أسباب النزول في تفسير ابن المبارك

(توفيق الرحمن في دروس القرآن)

إن القارئ لكتاب توفيق الرحمن في دروس القرآن يجد لأسباب النزول أثرا كبيرا في توضيح صاحبه للمراد، وتوجيهه للمعنى، وأنه يعول عليها كثيرا في تفسيره.. وذلك على وجوه، منها :

- أن يكتفي في تفسير الآية وبيان معناها بذكر سبب نزولها، وهو الأكثر في تفسيره.
- أن يذكر المعنى ثم يستدل عليه بسبب النزول.

---

(١) الزركشي ، البرهان ، جـ١/٢٨ - محمد علي السايس ، تفسير آيات الأحكام ، المحقق: ناجي سويدان ، الناشر: المكتبة العصرية للطباعة والنشر ، ٢٠٠٢م ، صـ ٧٨١ .

(٢) الزركشي ، البرهان ، جـ١/٢٩ – الألوسي ، شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني (المتوفى: ١٢٧٠هـ) ، روح المعاني ، ط١ ، دار الكتب العلمية – بيروت ، ١٤١٥ هـ ، جـ١٤/ ٣٣٢ ..

(٣) الزركشي، البرهان ، جـ١/٢٨ - الآلوسي ، روح المعاني ، جـ١٤/ ٣٣٢ – الواحدي، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي النيسابوري، الشافعي (المتوفى: ٤٦٨هـ) ، الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ، تحقيق: صفوان عدنان داوودي ، ط١، دار النشر: دار القلم , الدار الشامية - دمشق، بيروت ، ١٤١٥ هـ ، صـ ١١٠٨ - محمد علي السايس ، تفسير آيات الأحكام ، صـ ٧٨٢

– إن تعددت أسباب نزول الآية فإنه ينقل ما ذكر من أسباب لنزولها، فيكتفي – تارة – في بيان المعنى بما ذكره من أسباب دون التعرض للترجيح بينها أو غيره ، وتارة ينقل بعضا من أقوال العلماء في تفسير الآية وفي أسباب نزولها ،.. ويمكن توضيح ذلك من خلال ما يأتي :

أولا : الاكتفاء في بيان المعنى
بذكر سبب النزول

ومن الأمثلة على ذلك :

– أولا: قوله تعالى:(وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوْاْ الْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا....)[البقرة : ١٨٩] ، وذلك أنهم كانوا في الجاهلية يعتقدون أن من البر إتيان البيوت من ظهورها إذا عادوا من الحج ، حتى إن رجلا منهم دخل من قبل بابه فعُيِّر بذلك، فأنزل الله هذه الآية نفيا لاعتقادهم هذا..

وقد اكتفى الشيخ في بيان معنى الآية بذكر سبب نزولها، الذي رواه البخاري عن البراء قال: كانوا إذا أحرموا في الجاهلية أتوا البيت من ظهره، فأنزل الله: (وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوْاْ الْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَى وَأْتُواْ الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا)[البقرة: ١٨٩] (١)، وذلك لوضوحه في بيان معنى الآية (٢) .

– ثانيا: قوله تعالى:(كَذَلِكَ أَرْسَلْنَاكَ فِي أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهَا أُمَمٌ لِّتَتْلُوَ عَلَيْهِمُ الَّذِيَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَنِ)[الرعد:٣٠]، يكتفي هنا الشيخ بذكر سبب النزول

(١) صحيح البخاري ، بَابُ قَوْلِهِ {وَلَيْسَ البِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا البُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ البِرَّ مَنِ اتَّقَى وَأْتُوا البُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ} [البقرة: ١٨٩]، جـ٦/٣٦ح ٤٥١٢

(٢) المبارك ، فيصل بن عبد العزيز بن فيصل ابن حمد المبارك الحريملي النجدي (المتوفى: ١٣٧٦هـ) ، ط١ ، توفيق الرحمن في دروس القرآن ، دار العاصمة، المملكة العربية السعودية - الرياض، دار العليان للنشر والتوزيع، القصيم – بريدة ، ١٤١٦ هـ - ١٩٩٦ م، جـ١/ ٢٥٧ .

في تفسيره للآية ، فيقول: قال البغوي[١]: سبب نزولها أن أبا جهل سمع النبي – ﷺ – وهو في الحجر يدعو :يا الله يا رحمن» فرجع إلى المشركين فقال: إن محمدًا يدعو إلهين، يدعو الله ويدعو إلهًا آخر يسمى الرحمن، ولا نعرف الرحمن إلا رحمن اليمامة، فنزلت هذه الآية[٢].

- ثالثا : قوله عز وجل:(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللهَ وَذَرُواْ مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ * فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ فَأْذَنُواْ بِحَرْبٍ مِّنَ اللهِ وَرَسُولِهِ وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُؤُوسُ أَمْوَالِكُمْ لاَ تَظْلِمُونَ وَلاَ تُظْلَمُونَ) [البقرة:٢٧٨، ٢٧٩] ،وهنا أيضا لم يذكر الشيخ في تفسيرها سوى أنه نقل سبب نزولها ، فقال(٣): قال ابن كثير: وقد ذكر زيد بن أسلم وابن جريج ومقاتل بن حيان والسدي: (إن هذا السياق نزل في بني عمرو بن عمير من ثقيف، وبني المغيرة من بني مخزوم، كان بينهم ربا في الجاهلية، فلما جاء الإسلام ودخلوا فيه، طلبت ثقيف أن تأخذه منهم فتشاوروا، وقالت بنو المغيرة: لا نؤدي الربا في الإسلام بكسب الإسلام، فكتب في ذلك عتاب بن أسيد نائب مكة إلى رسول الله – ﷺ – فنزلت هذه الآية، فكتب بها رسول الله – ﷺ – إليه: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللهَ وَذَرُواْ مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ * فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ فَأْذَنُواْ بِحَرْبٍ مِّنَ اللهِ وَرَسُولِهِ} فقالوا: نتوب إلى الله ونذر ما بقي من الربا، فتركوا كلهم) [٤]

---

(١) البغوي ، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي (المتوفى : ٥١٠هـ)
معالم التنزيل في تفسير القرآن = تفسير البغوي ، ط١، دار إحياء التراث العربي –بيروت، ١٤٢٠ هـ،جـ٣/ ٢٢ .
(٢) آلمبارك ، توفيق الرحمن في دروس القرآن ، جـ٢/ ٥٢١
(٣) السابق ، جـ١/ ٣٥٥
(٤) ابن كثير ، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ) ، تفسير القرآن العظيم ، ط٢، دار طيبة للنشر والتوزيع ، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩ م ، جـ١/ ٧١٦ .

- رابعا : قوله تبارك وتعالى : (لَّقَدْ سَمِعَ اللهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُواْ إِنَّ اللهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاء سَنَكْتُبُ مَا قَالُواْ وَقَتْلَهُمُ الأَنبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُواْ عَذَابَ الْحَرِيقِ)[آل عمران :١٨١] ، نقل – فقط – سبب نزولها ، فقال[١]: قال الحسن: لما نزلت: {مَّن ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللهَ قَرْضاً حَسَناً)، عجبت اليهود فقالت: إن الله فقير يستقرض. فنزلت: {لَّقَدْ سَمِعَ اللهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُواْ إِنَّ اللهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاء سَنَكْتُبُ مَا قَالُواْ وَقَتْلَهُمُ الأَنبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُواْ عَذَابَ الْحَرِيقِ) [٢]
- خامسا : قوله سبحانه:(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَقْرَبُواْ الصَّلاَةَ وَأَنتُمْ سُكَارَى حَتَّىَ تَعْلَمُواْ مَا تَقُولُونَ)[النساء: ٤٣] ،قال الشيخ [٣]: روى ابن جرير عن عليّ: أنه كان هو وعبد الرحمن ورجل آخر شربوا الخمر، فصلى بهم عبد الرحمن فقرأ: {قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ} فخلط فيها، فنزلت: {لاَ تَقْرَبُواْ الصَّلاَةَ وَأَنتُمْ سُكَارَى} مكتفيا بفي تفسيرها بما ذكره من سبب النزول[٤]
- سادسا : قوله عز وجل:(يَسْأَلُونَكَ مَاذَا أُحِلَّ لَهُمْ قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ) [سورة المائدة:٤] ، قال ابن المبارك: روى ابن أبي حاتم عن عدي بن حاتم وزيد بن مهلهل الطائيين أنهما سألا رسول الله – ﷺ – فقالا: يا رسول الله قد حرّم الله الميتة فماذا

---

(١) آلمبارك ، توفيق الرحمن في دروس القرآن ، جـ١/ ٤٨٣
(٢) أبو جعفر النحاس أحمد بن محمد (المتوفى: ٣٣٨هـ) ، معاني القرآن ، ط١ ، جامعة أم القرى ـ مكة المكرمة ، ١٤٠٩ ، صـ ٥١٦ .
(٣) آلمبارك ، توفيق الرحمن في دروس القرآن ، جـ٥٤٢/١
(٤) الطبري ، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر (المتوفى: ٣١٠هـ) ، جامع البيان في تأويل القرآن ، مؤسسة الرسالة ، ط١، ١٤٢٠ هـ ـ ٢٠٠٠ م ، جـ٨/ ٣٧٦ .

يحلّ لنا منها؟ فنزلت: {يَسْأَلُونَكَ مَاذَا أُحِلَّ لَهُمْ قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ}[1]،واكتفى بذلك في بيان معناها[2] .

- سابعا : قوله سبحانه: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تُحَرِّمُواْ طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللهُ لَكُمْ وَلاَ تَعْتَدُواْ إِنَّ اللهَ لاَ يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ)[المائدة: ٨٧] نقل الشيخ في تفسيرها قول أبي مالك في سبب نزولها : قال عثمان بن مظعون وأناس من المسلمين: حرموا عليهم النساء، وامتنعوا من الطعام والطيب، وأراد بعضهم أن يقطع ذكره، فنزلت هذه الآية ، واكتفي به [3]

- ثامنا: قوله تعالى:(أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ)[ص :٢٨] ؟ قال الشيخ[4] : قال مقاتل: قال كفار قريش للمؤمنين: إنا نعطى في الآخرة من الخير مثل ما تعطون، فنزلت هذه الآية[5] .

- تاسعا: في تفسيره لقوله تعالي:(وَلاَ تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ ....) [الأنعام: ٥٢] ، ذكر الشيخ سبب نزوها وهو ما رواه ابن مسعود أن المشركين طلبوا من النبي أن يطر أتباعه من الفقراء، وقالوا: لعلك إن طردتهم أن

(١) لم أقف عليه عند ابن أبي حاتم كما ذكر الشيخ لا عن الحسن ولا عن غيره، ووجدته مروي عن سعيد بن جبير ، عند :الواحدي ، أسباب النزول ، صـ١٩٢ – البغوي ، معالم التنزيل ، جـ٢/ ١٥ ـ السيوطي ، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين (المتوفى: ٩١١هـ) ، لباب النقول في أسباب النزول ، دار الكتب العلمية بيروت – لبنان ، صـ ٧٦ .

(٢) آلمبارك ، ، توفيق الرحمن في دروس القرآن ، جـ٣١/٢

(٣) السابق ، جـ٩٣/٢ .

(٤) السابق ، جـ٩٣/٢ .

(٥) تفسير مقاتل ، جـ٣/ ٨٣٩

نتبعك، فنزلت هذه الآية [١] واكتفى الشيخ بذكر السبب النزول في تفسيرها وبيان معناها بيان معناها [٢]

- عاشرا: قوله تعالى:(قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ)[التوبة :٢٤]، ذكر في تفسيرها ما رواه البغوي في سبب نزولها وهو أن بعضا ممن أسلموا قعدوا عن الهجرة وقالوا : إِنْ نَحْنُ هَاجَرْنَا ضَاعَتْ أَمْوَالُنَا وَذَهَبَتْ تِجَارَاتُنَا وَخَرِبَتْ دُورُنَا وَقَطَعْنَا أَرْحَامَنَا، فَنَزَلَت[٣]
- حادي عشر: قوله سبحانه:(وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ وَلَمْ يَكُن لَّهُمْ شُهَدَاء إِلَّا أَنفُسُهُمْ فَشَهَادَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ ....) إلى قوله سبحانه (وَالْخَامِسَةَ أَنَّ غَضَبَ اللَّهِ عَلَيْهَا إِن كَانَ مِنَ الصَّادِقِينَ) [النور:٦-٩]، فقد اكتفى بذكر سبب نزولها وهو ملاعنة هلال بن أمية لزوجته [٤]
- ثاني عشر : قوله عز وجل:(وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انْفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا)[الجمعة: ١١]، ينقل الشيخ سبب نزولها وهو أن رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يُصَلِّي الْجُمُعَةَ قَبْلَ الْخُطْبَةِ مِثْلَ الْعِيدَيْنِ حَتَّى كَانَ يَوْمُ جُمُعَةٍ وَالنَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَخْطُبُ وَقَدْ صَلَّى الْجُمُعَةَ، فَدَخَلَ رَجُلٌ فَقَالَ: إِنَّ دِحْيَةَ بْنَ خَلِيفَةَ قَدِمَ بِتِجَارَتِهِ ، فَخَرَجَ النَّاسُ فَلَمْ يَظُنُّوا إِلَّا أَنَّهُ لَيْسَ فِي تَرْكِ الْخُطْبَةِ شَيْءٌ؛ فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ

---

(١) الطبري ، جامع البيان ، جـ١١/ ٣٧٤ .
(٢) آلمبارك ، ، توفيق الرحمن في دروس القرآن ، جـ١٣٩/٢
(٣) السابق ، جـ٢/ ٣٢٨ .. وانظر في سبب النزول : البغوي ، معالم التنزيل ، جـ٢/ ٣٢٨
(٤) آلمبارك ، توفيق الرحمن في دروس القرآن ، جـ٢٢٠/٣ - وانظر في سبب النزول : سنن أبي داود ، بَابٌ فِي اللِّعَانِ ، جـ٢٧٦/٢ح ٢٢٥٦ - الطبري ، جامع البيان ، جـ١٩/ ١١١

وَجَلَّ {وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انْفَضُّوا إِلَيْهَا} [الجمعة: ١١] (١)، واكتفى الشيخ بذكر سبب النزول في تفسيرها (٢)

ثانيا : ذكر المعنى
ثم الاستدلال عليه بسبب النزول

من الأمثلة على ذلك :

- أولا : قوله عز وجل:(وَأَنفِقُواْ فِي سَبِيلِ اللهِ وَلاَ تُلْقُواْ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوَاْ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ)[البقرة :١٩٥] ، فقد الشيخ الآية بأنها تحذر من الإمساك عن النفقة والقعود عن الخروج في سبيل، فإن من فعل ذلك فقد ألقى بنفسه إلى التهلكة ، كما ذكر ذلك عن ابن عباس (٣)، واستدل على ذلك بما ورد عن أبي أيوب الأنصاري في سبب نزولها، وهو مارواه أبو داود وغيره عن أسلم بن عمران قال: (حمل رجل من المهاجرين بالقسطنطينية على صفّ العدو حتى خرقه، ومعنا أبو أيوب الأنصاريّ، فقال ناس: ألقى بيده إلى التهلكة، فقال أبو أيوب: نحن أعلم بهذه الآية منكم، إنما نزلت فينا. صحبنا رسول الله – ﷺ –، وشهدنا معه المشاهد، ونصرناه، فلما فشا الإسلام وظهر اجتمعنا معشر الأنصار نجيًا، فقلنا: قد أكرمنا الله بصحبة نبيه – صلى الله عليه وسلم –، ونصره حتى فشا الإسلام، وكثر أهله، وكنا قد آثرنا على الأهلين والأموال والأولاد، وقد وضعت الحرب أوزارها، فنرجع إلى أهلينا وأولادنا فنقيم فيهم،

(١) أبو داود ، سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السِّجِسْتاني (المتوفى: ٢٧٥ هـ) ، المراسيل ، ، ط١ ، مؤسسة الرسالة – بيروت ، ١٤٠٨هـ ، باب مَا جَاءَ فِي الْخُطْبَةِ يَوْمَ الْجُمُعَةِ :، ـ١٠٥/١ح ٦٢
(٢) آلمبارك ، توفيق الرحمن في دروس القرآن ، جـ٤/ ٢٨١ .
(٣) السابق ، جـ١/ ٢٦١

فنزل فينا:(وَأَنفِقُواْ فِي سَبِيلِ اللهِ وَلاَ تُلْقُواْ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ)، فكانت التهلكة في الإقامة في الأهل والمال وترك الجهاد)[البقرة :١٩٥] [(١)] .

- ثانيا: قوله عز وجل:(وَلاَ تَهِنُواْ فِي ابْتِغَاء الْقَوْمِ إِن تَكُونُواْ تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمونَ وَتَرْجُونَ مِنَ اللهِ مَا لاَ يَرْجُونَ وَكَانَ اللهُ عَلِيماً حَكِيماً)[النساء:١٠٤]، قال في معناها: لا تضعفوا في طلب القوم، فإنكم إن تكونوا تتوجعون فإنهم يتوجعون كما تتوجعون،(وَتَرْجُونَ مِنَ اللهِ) من الأجر والثواب (مَا لاَ يَرْجُونَ)[(٢)]، واستدل لذلك بما أورده غير واحد في سبب نزولها،وهو سَبَبُ نُزُولِهَا أَنَّ أَبَا سُفْيَانَ وَأَصْحَابَهُ لَمَّا رَجَعُوا يَوْمَ أُحُدٍ بَعْثَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ طَائِفَةً فِي آثَارِهِمْ فَشَكَوْا أَلَمَ الْجِرَاحَاتِ، فَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى: (وَلَا تَهِنُوا)،أَيْ: لَا تَضْعُفُوا {فِي ابْتِغَاءِ الْقَوْمِ} فِي طَلَبِ أَبِي سُفْيَانَ وَأَصْحَابِهِ،(إِنْ تَكُونُوا تَأْلَمُونَ) تَتَوَجَّعُونَ مِنَ الْجِرَاحِ،(فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ)أَيْ: يَتَوَجَّعُونَ، يَعْنِي الْكُفَّارَ،(كَمَا تَأْلَمُونَ وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ)،أَيْ: وَأَنْتُمْ مَعَ ذَلِكَ تَأْمُلُونَ مِنَ الْأَجْرِ وَالثَّوَابِ فِي الْآخِرَةِ وَالنَّصْرِ فِي الدُّنْيَا مَا لَا يَرْجُونَ[(٣)].

- ثالثا : قوله تعالى: (... وَما كانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَؤُفٌ رَحِيمٌ) [البقرة:١٤٣]، قال الشيخ : أي: صلاتكم إلى بيت المقدس ، واستدل بما جاءفي

(١) أبو داود ،سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السِّجِسْتاني (المتوفى: ٢٧٥ هـ) ، سنن أبي داود ، طبعة المكتبة العصرية، صيدا – بيروت ، بَابٌ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: {وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ} [البقرة: ١٩٥]، جـ٣/١٢ح ٢٥١٢

(٢) السابق ، جـ١/ ٥٨٥ ، ٥٨٦

(٣) آلمبارك ، توفيق الرحمن في دروس القرآن ، جـ١/ ٥٨٦ - البغوي ، تفسير البغوي ، جـ١/ ٦٩٨ - القرطبي؛ الجامع لأحكام القرآن ج٥/ ٣٧٤ – الآلوسي ، روح المعاني ، جـ٣/ ١٣٣ .

الصحيح عن البراء قال: (مات قوم كانوا يصلون نحو بيت المقدس، فقال الناس: ما حالهم في ذلك؟ فأنزل الله: (وَمَا كَانَ اللهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ) [1]

- رابعا: قوله تعالى: {فَإِن كُنَّ نِسَاء فَوْقَ اثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ وَإِن كَانَتْ وَاحِدَةً فَلَهَا النِّصْفُ}، قال الشيخ: يعني: للبنتين فما فوق الثلثان، وللبنت الواحدة النصف[2] واستدل على ذلك بما رواه جابر رضي الله عنه حيث قال: جاءت امرأة سعد بن الربيع إلى رسول الله – ﷺ – فقالت: يا رسول الله هاتان ابنتا سعد بن الربيع قتل أبوهما معك في يوم أحد شهيدًا وإنَّ عَمَّهُمَا أخذ مالَهُمَا فلم يدع لهما مالاً ولا يُنْكَحَانِ إلا وَلَهُمَا مَال. قال: فقال: «يقضي اللَّهُ في ذلك» . فنزلت آية الميراثِ، فأرسل رسول اللَّهِ – ﷺ – إلى عَمِّهِمَا فقال: «أَعْطِ ابْنَتَيْ سَعْدٍ الثُّلُثَيْنِ وَأُمَّهُمَا الثُّمُنَ، وما بقِيَ فهو لك[3]
- خامسا: قول سبحانه:(وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُواْ فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ} . قال ابن المبارك : نهاه الله أن يجلس مع الذين يخوضون في آيات الله يكذبون بها، فإن نسي فلا يقعد بعد الذكرى مع القوم الظالمين. وقال السدي: فإذا ذكرت فقم[4]،ثم دلل على ذلك بسبب نزولها فقال : وقال ابن جريج: كان المشركون يجلسون إلى النبي – ﷺ – يحبون أن يسمعوا منه، فإذا سمعوا استهزءوا، فنزلت[5].

ثالثا : الاكتفاء في بيان معنى الآية بذكر أسباب النزول حال تعددها دون التعرض للترجيح أو غيره

(١) صحيح البخاري ، باب قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى: {وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ} [البقرة: ١٤٣] ، جـ١/١٧ح٤٠ .
(٢) آلمبارك ، توفيق الرحمن في دروس القرآن ، جـ١/ ٥٠٢
(٣) سنن أبي داود ، بَابُ مَا جَاءَ فِي مِيرَاثِ الصُّلْبِ ، جـ٣/١٢٠ح ٢٨٩١ – سنن الترمذي ، بَابُ مَا جَاءَ فِي مِيرَاثِ البَنَاتِ ، جـ٤/٤١٤ح ٢٠٩٢
(٤) آلمبارك ، توفيق الرحمن في دروس القرآن ، جـ٢/١٤٥ .
(٥) ابن جرير ، جامع البيان ، جـ١١/ ٤٣٨ .

ومن الأمثلة على ذلك :

- أولا: قوله تعالى (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَن يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ غَيْرَ نَاظِرِينَ إِنَاهُ وَلَكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانتَشِرُوا)[الأحزاب :٥٤] فقد اكتفى الشيخ في بيان معنى الآية هنا بذكر سببين لنزولها دون أن يعرض لشيء من الترجيح أو غيره الآية فقال[١]: وفي الصحيحين عن أنس بن مالك رضي اللَّهُ عنه قال: لمَّا تزوج رسول الله – ﷺ – زينب بنت جحش دعا القوم فطعموا ثم جلسوا يتحدَّثون فإذا هو كأنَّهُ يَتَهَيَّأُ للقيامِ فلم يقوموا، فلمَّا رأى ذلك قام، فلمَّا قام، قام من قام وقعد ثلاثةُ نفر، فجاء النبِي – ﷺ – لِيَدخُل فإذا القوم جلوسٌ ثم إنهم قاموا فانطلقوا، فجئت فأخبرت النبي – ﷺ – أنهم قد انطلقوا، فجاء حتى دخل فذهبت أدخل فألقى الحجاب بيني وبينه فأنزل الله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَن يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ غَيْرَ نَاظِرِينَ إِنَاهُ وَلَكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانتَشِرُوا} الآية[٢]،وعن عمر بن الخطاب قال: قلت: (يا رسول الله لو حجبت عن أمهات المؤمنين، فإنه يدخل عليك البر والفاجر، فنزلت آية الحجاب) [٣]
- ثانيا : كذلك في تفسيره لقوله تعالى :(يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ * قَدْ فَرَضَ اللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَانِكُمْ وَاللَّهُ مَوْلَاكُمْ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ)[التحريم:١-٢] اكتفى في بيان معناها بما جاء من أسباب لنزولها دون أن يعرض لشيء من الترجيح أو غيره الآية[٤]، فذكر ما روي أنها نزلت بسبب تحريمه لمارية ، وذلك أنه ﷺ أصاب منها في بيت بعض حفصة، قال: فقالت: أي رسول الله

(١) آلمبارك ، توفيق الرحمن في دروس القرآن ، جـ٣/ ٥١٢ .
(٢) صحيح البخاري ، بَابُ قَوْلِهِ: (لاَ تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ ...) [الأحزاب: ٥٣] ، جـ٦/١١٨ح ٤٧٩١
(٣) السابق ، جـ٦/١١٨ح ٤٧٩٠ ـ مسند أحمد ، جـ١/٢٩٩ح ١٦٠ .
(٤) آلمبارك ، توفيق الرحمن في دروس القرآن ، جـ٤/ ٣١٣ .

في بيتي وعلى فراشي؟ فجعلها عليه حرامًا[١]،ثم ساق ما روي عن مسروق أنه قال : آلى رسول الله – ﷺ – وحرّم، فعوتب في التحريم وأُمر بالكفّارة في اليمين[٢]، ثم نقل ما روته عائشة في سبب نزول الآية ، وهو أن رسول الله – ﷺ – كان يمكث عند زينب بنت جَحش، ويشرب عندها عسلاً، فتواطأت أنا وحفصة: أنّ أَيَّتَنَا دخل عليها رسول الله – ﷺ – فلتقل له: إني أجد منك ريح مغافير، أكلت مغافير؟ فدخل على إحداهما فقالت ذلك له فقال: لا، بل شربت عسلاً عند زينب بنت جحش ولن أعود له، وقد حلفت لا تخبري بذلك أحدًا» فنزلت: {يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ}(٣)

- ثالثا : قوله تبارك وتعالى : (وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُواْ لِي وَلْيُؤْمِنُواْ بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ)[البقرة :١٨٦]، يقول الشيخ[٤]: قال البغوي: قَالَ يَهُودُ أَهْلِ الْمَدِينَةِ: يَا مُحَمَّدُ كَيْفَ يَسْمَعُ رَبُّنَا دُعَاءَنَا وَأَنْتَ تَزْعُمُ أَنَّ بَيْنَنَا وَبَيْنَ السَّمَاءِ مَسِيرَةَ خَمْسِمِائَةِ عَامٍ، وَإِنَّ غِلَظَ كُلِّ سَمَاءٍ مِثْلُ ذَلِكَ؟ فَنَزَلَتْ هذه الآية

---

(١) أبو داود ، سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السِّجِسْتاني (المتوفى: ٢٧٥هـ)
، مؤسسة الرسالة – بيروت ، ط١، ١٤٠٨ ، بَابُ الْحَرَامِ ، جـ١/٢٠١ح ٢٤٠ - سعيد بن منصور ، أبو عثمان سعيد بن منصور بن شعبة الخراساني الجوزجاني (المتوفى: ٢٢٧هـ) ، سنن سعيد بن منصور ، دار الصميعي للنشر والتوزيع ، ط١،١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م ، بَابُ الْبَتَّةِ وَالْبَرِيَّةِ وَالْخَلِيَّةِ وَالْحَرَامِ ، جـ١/٤٣٨ح ١٧٠٧ –البيهقي ، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر البيهقي (المتوفى: ٤٥٨هـ) ، السنن الكبرى ، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان ، ط٣، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م ، باب من قال لأمته أنت علي حرام ، جـ٧/٥٧٨ح ١٥٠٧٧ –الدارقطني ، أبو الحسن علي بن عمر بن أحمد بن مهدي بن مسعود بن النعمان بن دينار البغدادي (المتوفى: ٣٨٥هـ) ، سنن الدارقطني ، ، مؤسسة الرسالة، بيروت - لبنان ، ط١ ،١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٤ مجـ٥/٧٥ح٤٠١٣ .
(٢) الطبري ، جامع البيان ، جـ٢٣/ ٤٧٦ .
(٣) صحيح البخاري ، باب (يا أيها النبي لم تحرم..) ، جـ٦/٤٩١٢- صحيح مسلم ، باب بَابُ وُجُوبِ الْكَفَّارَةِ عَلَى مَنْ حَرَّمَ امْرَأَتَهُ، وَلَمْ يَنْوِ الطَّلَاقَ ، جـ٢/١١٠٠ح١٤٧٤
(٤) المبارك ، توفيق الرحمن في دروس القرآن ،جـ١/٢٥١

(١)، وقال الضحاك: سأل بعض الصحابة النبي – ﷺ – فقالوا: أقريب ربنا فنناجيه أم بعيد فنناديه؟ فأنزل الله تعالى: {وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ}(٢) .

رابعا : ذكر أسباب النزول حال تعددها
مع ذكر بعض أقوال في تفسير الآية وفي أسباب نزولها .

ومن أمثلة ذلك في تفسيره :

- أولا: قوله تبارك و تعالى: (لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُواْ فَضْلاً مِن رَّبِّكُمْ فَإِذَا أَفَضْتُم مِّنْ عَرَفَاتٍ فَاذْكُرُواْ اللّهَ عِندَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَاكُمْ وَإِن كُنتُم مِّن قَبْلِهِ لَمِنَ الضَّآلِّينَ ثُمَّ أَفِيضُواْ مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ وَاسْتَغْفِرُواْ اللّهَ إِنَّ اللّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ)[البقرة :١٩٨– ١٩٩]، نقل الشيخ أسباب النزول الواردة، دون أن يعرض للترجيح أو غيره ، ولكنه لم يكتف به في بيان المعنى ، إذ عرض لما ورد عن السلف في بيان معناها، فذكر أولا ما روى البخاري وغيره في سبب نزولها عن ابن عباس قال: كانت عكاظ ومجنة وذو المجاز أسواقًا في الجاهلية، فتأثموا أن يتّجروا في الموسم فنزلت: {لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُواْ فَضْلاً مِن رَّبِّكُمْ} في مواسم الحج (٣)، ثم ذكر ما ورد عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في معنى الآية حيث قال ابن عباس في معناها أي : لا حرج عليكم في الشراء والبيع قبل الإحرام وبعده(٤)، ثم عاد ليذكر ما روى أحمد وغيره في

---

(١)البغوي ، معالم التنزيل ، جـ١/٢٢٥ .
(٢) الإمام أحمد ، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (المتوفى: ٢٤١هـ) ، السنة ، ط١، دار ابن القيم – الدمام ، ١٤٠٦ ، جـ١/٢٧٧ح ٥٢٢ .
(٣) صحيح البخاري ، بَابُ مَا جَاءَ فِي قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: (فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ ..) [الجمعة: ١١]، جـ٣/٥٣ح ٢٠٥٠ .
(٤) الطبراني ، سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم (المتوفى: ٣٦٠هـ) المعجم الكبير ، ط٢ ، مكتبة ابن تيمية – القاهرة ، جـ١٢/٢٥٢ح ١٣٠٢٢ - الطبري ، جامع البيان ، جـ٤/ ١٦٣ - ابن أبي حاتم ، أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر التميمي، الحنظلي، الرازي (المتوفى: ٣٢٧هـ) ، تفسير القرآن العظيم ،=

سبب نزولها عن أبي أمامة التيمي حيث قال: قلت لابن عمر: إنا نكري فهل لنا من حج؟ قال: أليس تطوفون بالبيت، وتأتون بالمعروف، وترمون الجمار، وتحلقون رءوسكم؟ قال: قلنا: بلى. فقال ابن عمر: جاء رجل إلى النبي – ﷺ – فسأله عن الذي سألتني فلم يجبه حتى نزل عليه جبريل بهذه الآية: {لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُواْ فَضْلاً مِّن رَّبِّكُمْ} فدعاه النبي – ﷺ – فقال: «أنتم حجاج»[١] [٢]

- ثانيا: قوله عز وجل(وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاء مَرْضَاتِ اللهِ وَاللهُ رَؤُوفٌ بِالْعِبَادِ)[البقرة : ٢٠٧]، أي يبيعها ببذلها في الجهاد، نقل الشيخ[٣] في تفسيرها سببين وردا لنزولها، أما الأول فإنها نزلت في صهيب الرومي، وذلك أنه لما أسلم بمكة وأراد الهجرة منعه الناس أن يهاجر بماله، وإن أحب أن يتجرد منه ويهاجر فعل، فتخلص منهم وأعطاهم ماله، فأنزل الله فيه هذه الآية، فتلقاه عمر بن الخطاب وجماعة إلى طرف الحرة فقالوا له: ربح البيع، فقال: وأنتم فلا أخسر الله تجارتكم، وما ذاك؟ فأخبروه أن الله أنزل فيه هذه الآية .. وأما الثاني : فإنها نزلت في سرية الرجيع[٤] ولم يذكر

=ط٣ ، مكتبة نزار مصطفى الباز ـ المملكة العربية السعودية ، ١٤١٩ هـ ، جـ١/٣٥١ح ١٨٤٧ .

(١) الطبري ، جامع البيان ، جـ٤/١٦٤ ـ ابن أبي حاتم ، تفسير القرآن العظيم ، جـ١/٣٥١ح ١٨٤٥

(٢) انظر: آلمبارك ، توفيق الرحمن في دروس القرآن ، جـ١/ ٢٧٠ .

(٣) السابق ، جـ١/ ٢٧٩ ـ

(٤) وقصتها : أنه فى شهر صفر من السنة الرابعة من الهجرة قدم على رسول الله (ﷺ) قوم من عضل والقارة .. وذكروا أن منهم إسلاماً .. وسألوه أن يبعث معهم من يعلمهم الدين ويقرئهم القرآن .. فبعث معهم عشرة من الصحابة وأمر عليهم عاصم بن ثابت .. فذهبوا معهم فلما كانوا بالرجيع ـ وهو ماء لبني لِحْيَان من هذيل بين منطقة بين مكة والطائف ـ (٤)استصرخوا عليهم بني لِحْيَان فأغاز عليهم مائتا مقاتل ، فألجأوهم إلى إلى تل مرتفع بعد أن أحاطوا بهم من كل جانب .. فاقتتلوا فقتل عاصما ومعه ستة من أصحابه ثم أعطى الأعراب الأمان من جديد للثلاثة الباقين ـ وهم زيد بن الدثنة وخبيب بن عدى وعبد الله بن طارق ـ فقبلوا فَأَسَرُوهُمْ، ثُمَّ خَرَجُوا بِهِمْ إِلَى مكة ليبعوهم بِهَا، حَتَّى إِذَا كَانُوا بِمر الظَّهْرَانِ (على بعد نحو خمسة وعشرين كيلو متر من مكة) انْتَزَعَ عَبْدُ اللَّهِ بْن طَارِقٍ يَدَهُ مِنَ الْقِرَانِ،=

قصتها ..ثم ينقل عن ابن كثير قوله: وأما الأكثرون فحملوا ذلك على أنها نزلت في كل مجاهد في سبيل الله[١]، وعن ابن جرير قوله : هي عامة في كل من باع نفسه في طاعة الله، وإن كان نزولها بسبب من الأسباب[٢]

– ثالثا: قوله تعالى بعد ذكر جزاء من يكفر بعد إيمانه (إِلا الَّذِينَ تَابُواْ مِن بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُواْ فَإِنَّ الله غَفُورٌ رَّحِيمٌ)[آل عمران: ٨٩]، يقول الشيخ[٣] : قال مجاهد: جاء الحارث بن سويد، فأسلم مع النبي – ﷺ –، ثم كفر الحارث فرجع إلى قومه، فأنزل الله عز وجل في القرآن: {كَيْفَ يَهْدِي اللهُ قَوْماً كَفَرُواْ بَعْدَ إِيمَانِهِمْ} إلى: {إِلا الَّذِينَ تَابُواْ مِن بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُواْ فَإِنَّ الله غَفُورٌ رَّحِيمٌ} ، قال: فحملها إليه رجل من قومه فقرأها عليه، فقال الحارث: إنك والله ما علمت لصدوق، وإن رسول الله – ﷺ – لأصدق منك وإن الله عز وجل لأصدق الثلاثة. قال: فرجع الحارث فأسلم فحسن إسلامه [٤]،وقال عكرمة: نزلت في أبي عامر الراهب، والحارث بن سويد، ووحوح بن الأسلت، وفي اثني عشر رجلاً رجعوا عن الإسلام، ولحقوا بقريش، ثم كتبوا إلى أهليهم: هل لنا من توبة؟ فنزلت: {إِلا الَّذِينَ

=ثُمَّ أَخَذَ سَيْفَا وَاسْتَأْخَرَ عَنِ الْقَوْمِ، فَرَمَوْهُ بِالْحِجَارَةِ حتى قتلوه، فقبر بمر الظَّهْرَانِ يَرْحَمُهُ اللَّهُ.. وانطلقوا بخبيب بن عدى وزيد بن الدثنة إلى مكة فباعوهما لقريش .. فقتلتهما قريش ..فنزلت الآية ..انظر [الكشف والبيان للثعلبي ، جـ ٢/ ١٢٠-١٢٢ – ابن حجر، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (المتوفى: ٨٥٢هـ) العجاب في بيان الأسباب ، دار ابن الجوزي ، جـ١/ ٥٢٣ .

(١)ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ، جـ١/ ٥٦٥ .

(٢) ابن جرير ، جامع البيان ، جـ٤/ ٢٥٠ – ٢٥١ .

(٣) آلمبارك ، توفيق الرحمن في دروس القرآن ، جـ١/ ٤٢٥ .

(٤) الطبري ، جامع البيان ، جـ٦/ ٥٧٣ – الواحدي ، أسباب النزول ، صـ ١١٤ – السيوطي، لباب النقول في أسباب النزول، صـ ٤٤ .

تَابُواْ مِن بَعْدِ ذَلِكَ} الآيات [١] واختار ابن جرير: جواز نزولها في الفريقين، وعمومها في كل مرتد[٢]

- رابعا : قوله عز وجل: (لَيْسَ لَكَ مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ)،[آل عمران: ١٢٨] ، قال الشيخ[٣]:عن أنس قال: قاتل النبي- ﷺ- يوم أحد، وكسرت رباعيته، وشج، فجعل يمسح عن وجهه الدم ويقول: كيف يفلح قوم خضبوا نبيهم بالدم وهو يدعوهم إلى ربهم» ! ؟ فنزلت: {لَيْسَ لَكَ مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ}) [٤]، وعن ابن عمر: أن رسول الله - ﷺ - كان يدعو على أربعة نفر، فأنزل الله عز وجل: {لَيْسَ لَكَ مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ}[٥]، ثم يذكر الشيخ في معناها ما رواه ابن جرير وغيره عن ابن إسحاق قال: أي: ليس لك من الحكم شيء في عبادي إلا ما أمرتك به فيهم، أتوب عليهم برحمتي؛ فإن شئت فعلت، أو أعذبهم بذنوبهم فإنهم ظالمون، أي: قد استحقوا ذلك بمعصيتهم إياي[٦]

- خامسا : قوله سبحانه:(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوّاً لَّكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ وَإِن تَعْفُوا وَتَصْفَحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ)[التغابن: ١٤]، ذكر الشيخ أولا

---

(١) ابن جرير ، جامع البيان ، جـ٦/ ٥٧٤ – ابن حجر ، العجاب في بيان الأسباب ، جـ٢/ ٧١١ .
(٢) ابن جرير ، جامع البيان ، جـ٦/٥٧٧ .
(٣) آلمبارك ، توفيق الرحمن في دروس القرآن ، جـ١/ ٤٥٠ .
(٤) ابن أبي حاتم ، تفسير القرآن العظيم ، جـ٣/٧٥٦ح٤١٢٤ – الواحدي ، أسباب النزول ، صـ١٢١ – ابن حجر ، العجاب في بيان الأسباب، جـ٢/ ٧٤٩ .
(٥) الترمذي ، سنن الترمذي ، بَابٌ: وَمِنْ سُورَةِ آلِ عِمْرَانَ ، جـ٥/٢٢٨ح ٣٠٠٥ ابن خزيمة ، أبو بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة بن المغيرة بن صالح بن بكر السلمي النيسابوري (المتوفى: ٣١١هـ) ، صحيح ابن خزيمة ، المكتب الإسلامي – بيروت ، جـ١/٣١٥ح ٦٢٣ -- ابن جرير ، جامع البيان ، جـ٧/ ١٩٩ -
(٦) جامع البيان - جـ٧/١٩٥ .

ما ورد من أسباب لنزول الآية فقال[١]: قال عكرمة: سأل رجل ابن عباس عن هذه الآية: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ}، قال: هؤلاء رجال أسلموا فأرادوا أن يأتوا رسول الله – ﷺ – فأبى أزواجهم وأولادهم أن يدعوهم يأتوا رسول الله – ﷺ –، فلما أتوا رسول الله – ﷺ – فرأوا الناس قد فقهوا في الدين همّوا أن يعاقبوهم، فأنزل الله جلّ ثناؤه: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ} الآية[٢]، وقال عطاء: (نزلت سورة التغابن كلها بمكة إلا هؤلاء الآيات: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوّاً لَّكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ} نزلت في عوف بن مالك الأشجعيّ، كان ذا أهل وولد فكان إذا أراد أن يغزو، بكوا إليه ورقّقوه، وقالوا: إلى ما تدعنا؟ فيرقّ ويقيم، فنزلت: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوّاً لَّكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ} [٣]،ثم ينقل الشيخ قولا لقتادة في تفسيرها والإشارة إلى سبب نزولها فيقول[٤]:عن قتادة قال: قوله تعالى:{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوّاً لَّكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ} الآية، قال: منهم من لا يأمر بطاعة الله ولا ينهى عن معصيته، وكانوا يبطِّئون عن الهجرة إلى رسول الله – ﷺ – وعن الجهاد[٥]، ثم قولا لابن زيد فيقول[٦]: قال ابن زيد في قوله: {إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوّاً لَّكُمْ}،قال يقول: عدوًّا لكم في دينكم فاحذروهم على دينكم[٧] .

****

(١) آلمبارك ، توفيق الرحمن في دروس القرآن ، جـ٤/ ٢٩٦ .
(٢) انظر: الترمذي ، سنن الترمذي ، بَاب وَمِنْ سُورَةِ التَّغَابُنِ ، جـ٥/٤١٩ح ٣٣١٧ – الحاكم ، المستدرك ، تَفْسِيرُ سُورَةِ التَّغَابُنِ ، جـ٢/٥٣٢ح ٣٨١٤ .
(٣) الطبري ، جامع البيان ، جـ٢٣/ ٤٢٤ - البغوي ، معالم التنزيل ، جـ٥/ ١٠٤ - البقاعي ، إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر (المتوفى: ٨٨٥هـ) ، ط١ ، مكتبة المعارف – الرياض ، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٧ م ، جـ٣/ ٩١ .
(٤) آل مبارك ، توفيق الرحمن في دروس القرآن ، جـ٤/ ٢٩٦ ، ٢٩٧
(٥) الطبري ، جامع البيان ، جـ٢٣/ ٤٢٤
(٦) آل مبارك ، توفيق الرحمن في دروس القرآن ، جـ٤/ ٢٩٧ .
(٧) الطبري ، جامع البيان ، جـ٢٣/ ٤٢٥

الخاتـــــــمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات وبعونه تقضى الحاجات ، ها نحن قد انتهينا من بحثا ، وقد تبين لنا تمام البيان ، أن أسباب النزول ذات أثر في المعنى وبيان المراد ، عند كل المفسرين ، و في تفسير ابن المبارك، قد عول عليها كثيرا في بيان المعنى ، حتى إنه كثيرا ما كان يكتفي بذكرها في تفسير الآية ... ثم لا يفوتني أن أضع بين يدي القاء جملة من النتائج والتوصيات :

أولاً: النتائج:

- أن العلامة ابن المبارك (رحمه الله) من الأعلام الذين اهتموا بالتصنيف في مجالات شتى من العلوم الشرعية .
- أن كتاب(توفيق الرحمن في دروس القرآن) لصاحبه ابن المبارك ، تفسير حنابلي، بأسلوب ميسر وسهل.
- اعتنى الشيخ في تفسيره بذكر أسباب نزول الآي ، وظهر جليا أثرها في تفسيره.
- من أهمل أسباب النزول في طلبه لمعاني الآيات ، فقد ضل طريقه إلى فهم معنى واستجلاء المراد ، وذلك لما لها من مكانة عظيمة في بيان المعنى وكشفه وإيضاحه .

ثانيًا: التوصيات:

ظهر لي مما بحثته في تفسير ابن المبارك عنايته بعلوم القرآن، وأوصي طلبة العلم والباحثين بدراسة ما فيه من علوم القرآن، دراسة علمية منهجية .

وختاما

لله – وحده –الفضل والمنة أن وفقنا لإتمام بحثنا

سائلين الله أن يستعملنا في طاعته ومرضاته

دليل المراجع

أولا : كتب التفسير وعلوم القرآن .

- ابن أبي حاتم ، أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر التميمي، الحنظلي، الرازي (المتوفى: ٣٢٧هـ) ، تفسير القرآن العظيم ، ط٣ ، مكتبة نزار مصطفى الباز – المملكة العربية السعودية ، ١٤١٩ هـ.
- ابن تيمية ، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام الحنبلي الدمشقي (المتوفى: ٧٢٨هـ) ، مقدمة في أصول التفسير ، طبعة دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان ، ١٤٩٠هـ/ ١٩٨٠م .
- ابن حجر،أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد العسقلاني (المتوفى: ٨٥٢هـ) العجاب في بيان الأسباب ، دار ابن الجوزي
- ابن عثيمين؛ محمد بن صالح بن محمد (ت:١٤٢١هـ)، أصول في التفسير، أشرف على تحقيقه: قسم التحقيق بالمكتبة الإسلامية، المكتبة الإسلامية، ط١، ١٤٢٢ هـ – ٢٠٠١ م.
- ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ)، تفسير القرآن العظيم ، ط٢، دار طيبة للنشر والتوزيع ، ١٤٢٠هـ – ١٩٩٩ م .
- أبو جعفر النحاس أحمد بن محمد (المتوفى: ٣٣٨هـ) ، معاني القرآن ، ط١ ، جامعة أم القرى – مكة المكرمة ، ١٤٠٩
- الألوسي ، شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني (المتوفى: ١٢٧٠هـ) ، روح المعاني ، ط١ ، دار الكتب العلمية – بيروت ، ١٤١٥ هـ ،

- البغوي ، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي (المتوفى : ٥١٠هـ) ، معالم التنزيل في تفسير القرآن = تفسير البغوي، ط١ ، دار إحياء التراث العربي –بيروت ، ١٤٢٠ هـ
- البقاعي ، إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر (المتوفى: ٨٨٥هـ) ، ط١ ، مكتبة المعارف – الرياض ، ١٤٠٨ هـ – ١٩٨٧ م .
- البلخى ، أبو الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي (المتوفى: ١٥٠هـ) ، تفسير مقاتل ، تحقيق : عبد الله محمود شحاته، ط١، دار إحياء التراث – بيروت، ١٤٢٣ هـ
- د/ محمد محمد أبو شهبة ، المدخل لدراسة القرآن الكريم ، ط٣ ، دار اللواء للنشر والتوزيع ، ١٩٨٧م .
- الرومي؛ أ. د. فهد بن عبد الرحمن بن سليمان، دراسات في علوم القرآن الكريم، حقوق الطبع محفوظة للمؤلف، ط١٢، ١٤٢٤هـ – ٢٠٠٣م.
- الزرقاني ، محمد عبد العظيم (ت:١٣٦٧هـ)، مناهل العرفان في علوم القرآن، ط٣ ، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه .
- الزركشي ، أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر (المتوفى: ٧٩٤هـ) ، ،البرهان في علوم القرآن ، ط١ ، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابى الحلبي وشركائه ، القاهرة ، ١٣٧٦ هـ – ١٩٥٧ م .
- السيوطي؛ عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين (ت: ٩١١هـ) ، الاتقان في علوم القرآن ، طبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤ م .
- السيوطي؛ عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين (ت:٩١١هـ)، لباب النقول في أسباب النزول، ضبطه وصححه: الاستاذ أحمد عبد الشافي، دار الكتب العلمية بيروت – لبنان
- صبحي الصالح ، مباحث في علوم القرآن ،ط٤ ، دار العلم للملايين ، ٢٠٠٠م .
- الطبري ، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر (المتوفى: ٣١٠هـ)، جامع البيان في تأويل القرآن ، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢٠ هـ – ٢٠٠٠ م

- الطيار؛ د. مساعد بن سليمان بن ناصر، المحرر في علوم القرآن، مركز الدراسات والمعلومات القرآنية بمعهد الإمام الشاطبي، ط٢، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م.
- القرطبي؛ أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري: الجامع لأحكام القرآن المعروف بتفسير القرطبي، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية – القاهرة، ط٢، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤ م. جـ٦/ ٢٩٧
- القطان؛ مناع بن خليل (ت:١٤٢٠هـ)، مباحث في علوم القرآن، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، ط٣، ١٤٢١هـ- ٢٠٠٠م.
- المبارك؛ فيصل بن عبد العزيز بن فيصل ابن حمد (ات:١٣٧٦هـ)، توفيق الرحمن في دروس القرآن، حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه: عبد العزيز بن عبد الله بن إبراهيم الزير آل محمد، دار العاصمة، المملكة العربية السعودية - الرياض، دار العليان للنشر والتوزيع، القصيم – بريدة، ط١، ١٤١٦ هـ - ١٩٩٦ م
- محمد بحيري إبراهيم ، القرآن المبين وكيف نزل به الروح الأمين ، ط٣ ، دار الطباعة المحمدية ، القاهرة ، سنة ١٤١٤هـ
- محمد بكر إسماعيل (المتوفى: ١٤٢٦هـ) ، دراسات في علوم القرآن ، ط٢ ، دار المنار ، ١٤١٩هـ-١٩٩٩م .
- محمد علي السايس ، تفسير آيات الأحكام ، المحقق: ناجي سويدان ، الناشر: المكتبة العصرية للطباعة والنشر ، ٢٠٠٢م ، صـ ٧٨١
- المزيني؛ د. خالد بن سليمان، المحرر في أسباب النزول، دار ابن الجوزي، الدمام - المملكة العربية السعودية، ط١، (١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م).
- الواحدي، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي النيسابوري، الشافعي (المتوفى: ٤٦٨هـ) ، أسباب النزول ، ط٣ ، دار الإصلاح – الدمام، ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م
- الواحدي، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي النيسابوري، الشافعي (المتوفى: ٤٦٨هـ) ، الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ، تحقيق: صفوان عدنان داوودي، ط١، دار

القلم , الدار الشامية – دمشق، بيروت ، ١٤١٥ هـ .

ثانيا : كتب السنة :

- ابن الصلاح ، عثمان بن عبد الرحمن، أبوعمرو، تقي الدين المعروف بابن الصلاح (المتوفى: ٦٤٣هـ) ، معرفة أنواع علوم الحديث، (مقدمة ابن الصلاح) ، طبعة دار الفكر- سوريا، دار الفكر المعاصر – بيروت ، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م
- ابن خزيمة، أبو بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة بن المغيرة بن صالح بن بكر السلمي النيسابوري (المتوفى: ٣١١هـ)، صحيح ابن خزيمة ، المكتب الإسلامي – بيروت.
- أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السِّجِسْتاني(ت٢٧٥هـ) ، سنن أبي داود ، طبعة المكتبة العصرية، صيدا – بيروت .
- أبو داود، سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السِّجِسْتاني(ت٢٧٥هـ) ، مراسيل أبي داود ، ط١،مؤسسة الرسالة – بيروت ، ١٤٠٨،
- الإمام أحمد ، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني ، مسند الإمام أحمد بن حنبل، (ت٢٤١هـ) ، ط١ ، مؤسسة الرسالة ، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م
- الإمام أحمد ، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (المتوفى: ٢٤١هـ) ، السنة ، ط١، دار ابن القيم – الدمام ،١٤٠٦هـ .
- البخاري، الجامع الصحيح المختصر (صحيح البخاري)، باب قول الله تعالى: (وَأْتُواْ ٱلْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَٰبِهَا) [البقرة: ١٨٩].
- البيهقي ، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر البيهقي (المتوفى: ٤٥٨هـ) ، السنن الكبرى ، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان ، ط٣، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م .
- البيهقي، أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، (المتوفى: ٤٥٨هـ) ، شعب الإيمان ، ط١ ، مكتبة الرشد للنشر والتوزيع بالرياض بالتعاون مع الدار السلفية ببومباي بالهند ، ط١، ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٣ م .

- الترمذي ، أبو عيسى محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، (المتوفى: ٢٧٩هـ)، سنن الترمذي، ط٢ ، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي – مصر ، ١٣٩٥ هـ – ١٩٧٥ م
- الحاكم، أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نُعيم النيسابوري (المتوفى: ٤٠٥هـ)، المستدرك على الصحيحين ،ط١، دار الكتب العلمية – بيروت ، ١٤١١ – ١٩٩٠ .
- الدارقطني، أبو الحسن علي بن عمر بن أحمد بن مهدي بن مسعود بن النعمان بن دينار البغدادي (المتوفى: ٣٨٥هـ)، سنن الدارقطني، مؤسسة الرسالة، بيروت – لبنان ، ط١ ،١٤٢٤ هـ – ٢٠٠٤ م .
- سعيد بن منصور، أبو عثمان سعيد بن منصور بن شعبة الخراساني الجوزجاني (المتوفى: ٢٢٧هـ) ،سنن سعيد بن منصور، دار الصميعي للنشر والتوزيع ، ط١،١٤١٧ هـ – ١٩٩٧ م .
- السيوطي،عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين (المتوفى: ٩١١هـ) المقامة السندسية في النسبة المصطفوية، ط١، مطبعة مجلس المعارف النظامية، حيدر آباد .
- الطبراني، سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم (المتوفى: ٣٦٠هـ) المعجم الكبير، ط٢، مكتبة ابن تيمية – القاهرة
- النسائي ، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني (المتوفى: ٣٠٣هـ) ، المحقق: حسن عبد المنعم شلبي ، ط١، مؤسسة الرسالة – بيروت ، ١٤٢١ هـ
- النيسابوري، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري (المتوفى: ٢٦١هـ)، المسند الصحيح المختصر (صحيح مسلم) ، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت.

ثالثا : كتب الفقه وأصوله :

- ابن تيمية ، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم الحراني (المتوفى: ٧٢٨هـ) ، مجموع الفتاوى ، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية،

المملكة العربية السعودية ، ١٤١٦هـ/١٩٩٥م ،

- الشاطبي؛ أبو إسحاق إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي (ت: ٧٩٠ هـ)، الموافقات، المحقق: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، تقديم: بكر بن عبد الله أبو زيد، دار ابن عفان، ط١، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م .
- الطوفي ، سليمان بن عبد القوي بن الكريم (ت٧١٦هـ)، شرح مختصر الروضة، المحقق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٠٧هـ.

رابعا: كتب اللغة :

- ابن سيده، أبو الحسن علي بن إسماعيل المرسي [ت: ٤٥٨هـ] ، المحكم والمحيط الأعظم، ط١، دار الكتب العلمية – بيروت ، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م
- ابن منظور، محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين الأنصاري ، (المتوفى: ٧١١هـ) لسان العرب ، دار صادر – بيروت ، ط٣، ١٤١٤هـ
- الأزهري، محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور (المتوفى: ٣٧٠هـ) ، ط١، : دار إحياء التراث العربي – بيروت ، ٢٠٠١م
- الحموي؛ أحمد بن محمد بن علي الفيومي، أبو العباس (ت: نحو٧٧٠هـ)، المصباح المنير، المكتبة العلمية – بيروت .
- الرازي ، زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي (ت: ٦٦٦هـ) ، مختار الصحاح ، ط٥ ، المكتبة العصرية - الدار النموذجية، بيروت – صيدا، ، مادة (نزل) ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.
- السمين، شهاب الدين أحمد بن يوسف بن عبد الدائم (ت:٧٥٦هـ)، عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ، المحقق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م.
- الفراهيدي، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم البصري (ت ١٧٠هـ) ، كتاب العين ، طبعة دار ومكتبة الهلال .

- القزويني؛ أحمد بن فارس بن زكريا الرازي، أبو الحسين (ت:٣٩٥هـ)، مقاييس اللغة، المحقق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م
- الكفوي،أيوب بن موسى الحسيني القريمي(ت١٠٩٤هـ)،الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، المحقق:عدنان درويش-محمد المصري، مؤسسة الرسالة.
- مجمع اللغة العربية بالقاهرة، (إبراهيم مصطفى / أحمد الزيات / حامد عبد القادر / محمد النجار)، المعجم الوسيط، دار الدعوة. مادة (سبب) ج١ ص٤١١-٤١٢.
- الهروي، أبو منصور محمد بن أحمد بن الأزهري (ت: ٣٧٠هـ) ، تهذيب اللغة ، دار إحياء التراث العربي – بيروت ، ط١ ، ٢٠٠١م ، جـ١٢ / ٢٢٠ .

خامسا : التراجم :

- أبابطين، عبد المحسن بن عثمان، مقدمة "القواعد الجليلة"، مكتبة الرشد – الرياض-، ط١، ١٤١٤هـ
- الزركلي؛ خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، (ت:١٣٩٦هـ)، الأعلام للزركلي، دار العلم للملايين، ط١٥ - أيار / مايو ٢٠٠٢ م.
- محمد خير رمضان يوسف، تتمة الأعلام للزركلي، ط٢، ١٤٢٢هـ، دار ابن حزم، بيروت.
- الموسوعة الميسرة في تراجم أئمة التفسير والإقراء والنحو واللغة «من القرن الأول إلى المعاصرين مع دراسة لعقائدهم وشيء من طرائفهم»، جمع وإعداد: وليد بن أحمد الحسين الزبيري، إياد بن عبد اللطيف القيسي، مصطفى بن قحطان الحبيب، بشير بن جواد القيسي، عماد بن محمد البغدادي، مجلة الحكمة، مانشستر – بريطانيا، ط١، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م

دليل المحتويات

رقم	الموضوع	رقم الصفحة
١	ملخص البحث.	٢٥٤٧
٢	المقدمة.	٢٥٤٩
٣	المبحث الأول: التعريف بعنوان البحث .	٢٥٥٣
٤	المطلب الأول: علم أسباب النزول.	٢٥٥٥
٥	المطلب الثاني: التعريف بابن المبارك وتفسيره .	٢٥٦٠
٦	المبحث الثاني: أهمية أسباب النزول والطريق إلى معرفتها.	٢٥٦٥
٧	المطلب الأول: أهمية أسباب النزول والعناية بها.	٢٥٦٦
٨	المطلب الثاني: الطريق إلى معرفة أسباب النزول	٢٥٧٢
٩	المبحث الثالث: أثر أسباب النزول في بيان المعنى التفسيري عند ابن المبارك في تفسيره.	٢٥٧٥
١٠	الخاتمة: النتائج والتوصيات.	٢٥٩٥
١١	دليل المراجع.	٢٥٩٦
١٢	دليل المحتويات.	٢٦٠٣

تم بحمد الله تعالى